ملامح
الشخصية اليهودية
وطبائعها
كما تصوِّرها فكاهاتهم

الدكتورة سناء عبد اللطيف صبري

دار القلم
دمشق

ملامح الشخصية اليهودية وطبائعها
كما تصوُّرها فكاهاتهم

كتاب: ملامح الشخصية اليهودية كما تصورها فكاهاتهم
المؤلفة: الدكتورة سناء عبد اللطيف حسين صبري
تاريخ الإيداع: ١٩٩٨/١٢/٣١
رقم الإيداع: ١٩٩٩/١٨٦٤
الترقيم الدولي: I S B N :7 - 7902 - 19 - 977

الطّبعَةُ الأولى
١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

حُقوقُ الطّبْعِ محْفوظَة

تُطلبُ جميعُ كتُبنا مِنْ :
دَارُ القَلَمْ - دمَشْق : صَبْ : ٤٥٢٣ - ت : ٢٢٢٩١٧٧
الدّار الشّاميّة - بَيْرُوت - ت : ٦٥٣٦٥٥ / ٦٥٣٦٦٦
صَبْ : ٦٥٠١ / ١١٣

توزيع جميع كتبنا في السّعُوديّة عن طريق
دَارُ البَشِيْر - جَدّة : ٢١٤٦١ - صَبْ : ٢٨٩٥
ت : ٦٦٠٨٩٠٤ / ٦٦٥٧٦٢١

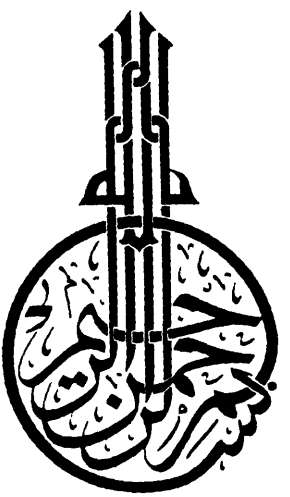

إهـــداء

إلى روح أخي الغالي

الأستاذ شوقي سالم

شكر وتقدير

أتقدم بوافر الشكر إلى كل من ساعدني ومدَّ لي يد العون في إخراج هذا الكتاب: الأستاذ. عبد التواب يوسف، أ. د. رشاد الشامي، أ.د. محمد الجوهري، أ.د. علياء شكري، أ.د. حسن عبد القادر.

مقدمة

لقد تخصَّصت في الدراسات العبرية، وقرأت ـ في جملة ما قرآت في هذا المجال ـ بعض ما كتبه اليهود عن العرب، واستفزني ما أفْصَحَتْ عنه بطون كتب الأدب والفكر الصهيوني من تصوير للشخصية العربية في صورة سلبية قميئة. كما أثارني أيضاً مبالغة بعضهم في تشويه هذه الصورة؛ حيث نزعوا عن العربي الصفة الآدمية، وألصقوا به أحط الطباع وأقذر الأخلاق؛ فوصفوه بالكذب، السرقة، الخداع، الاحتيال، الخيانة، الغدر، القتل، الجبن، الحقد، العدوان، النفاق، شهادة الزور، التخلف... إلخ. بل وامتدت هذه الصورة السلبية البشعة للعربي أيضاً إلى سِماته الخارجية وصفاته الجسدية وملابسه وبيئته وعاداته ومعتقداته الدينية... إلخ[1].

ولقد قرأت أيضاً الكثير عن سِمات الشخصية اليهودية[2]، كما سبق لي أن قمتُ بإعداد دراسة عن الأصول الفكرية لليهود، وتأثير حياة الجيتو على عقليتهم وثقافتهم ونفسيتهم[3]، وعرفت أن أغلب اليهود لهم سجايا خبيثة،

---

(١) لمزيد من التفاصيل اقرأ: صميدة محمود (د)، استراتيجية الأدب الصهيوني لإرهاب العرب، سلسلة نحن وهم، أبو ظبي.

(٢) راجع الشامي. رشاد (د)، الشخصية الإسرائيلية والروح العدوانية، الناشر سعيد رأفت، بدون تاريخ.
انظر أيضاً: حفني. قدري (د)، تجسيد الوهم (دراسة سيكولوجية للشخصية الإسرائيلية) سنة ١٩٧١، ولنفس المؤلف.
اقرأ أيضاً: دراسة الشخصية الإسرائيلية (الإشكنازيم) سنة ١٩٧٥، وشباب عجوز (دراسة في سيكولوجية السابرا الإسرائيليين) سنة ١٩٨٤.

(٣) صبري. سناء عبد اللطيف (دكتورة)، الجيتو اليهودي ـ دراسة للأصول الفكرية والثقافية=

وأنهم أحطُّ البشر وأرذلهم، وأنهم يختلفون عن البشر، ويبتعدون عن السلوك الإنساني السويِّ في العديد من مجالات الحياة، وأن لهم صفات وطبائع نادراً ما تتجَّمع في شعب من الشعوب، فبالرغم من أن اليهود متعدِّدي الانتماءات، وعاشوا في أماكن مختلفة في العالم إلا أن هنالك طبائع وأخلاقاً واحدة لليهود عرفوا بها أينما كانوا، وفي كل العصور، مما جلب عليهم المتاعب، وأثار ضدهم موجات من الاضطهادات في بعض الأحيان، كرد فعل لسلوكهم الشائن.. وهنا أدركت شيئاً هاماً للغاية وهو أن اليهود يقومون بعملية إسقاط لصفاتهم وطبائعهم السيئة، ويقذفون بها نحو العربي.

من ناحية أخرى، فقد اكتشفت أن شخصية اليهودي شاذَّة، ويغلب عليها الكآبة والحزن والتشاؤم؛ فاليهود دائماً يذرفون الدموع، ويلطمون الخدود، وغالباً ما يستقون من مقولة الاضطهاد اليهودي مادة لأدبهم وحكاياتهم، لدرجة أنني ظننت أنهم لفرط شذوذهم وكآبتهم لا يعرفون الضحك، ولا يجيدون فن النكتة، ويفتقدون لروح الفكاهة.

وبالصدفة وقعتْ تحت يدي دائرة معارف عن الفكاهة اليهودية، سطَّرها واحد منهم، فأثارت فيَّ الفضول لدراسة موضوع الفكاهة عند اليهود لاستخلاص سِمات الشخصية القومية اليهودية، والتعرف على طبائع اليهود وأخلاقهم من خلال تحليل نماذج من أحد عناصر التراث الشعبي اليهودي، وهو الفكاهة، باعتبارها من المفاتيح الثقافية القادرة على كشف الحجاب عن أبعاد الشخصية الأساسية لشعب ما، ولا سيما أنه قد ثبت أن هذه الطريقة تحقق نتائج صحيحة بنسبة كبيرة، حيث يتوافر في الفكاهة جانب العفوية والفطرية والتلقائية.. لهذا تنسكب الحقائق من بين كلماتها، وتنساب الأسرار ودفائن النفس البشرية من بين سطورها بدون إرادة، فتكشف عن أبرز

= والنفسية للمجتمع الإسرائيلي، دار القلم دمشق، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩٩.

العيوب الحادة، والأمراض المزمنة، والصفات الشائعة فيما يطلق عليه الشخصية المنوالية الأساسية للشعب.

لقد سخر اليهود من العرب كثيراً، وعمدوا إلى تشويه صورتهم، والتقليل من شأنهم، وحان لنا أن نسخر معهم على أنفسهم، ونكشف النقاب عن طبائعهم السيئة على طريقة «من فمك أدينك»، فنحن لا نتجنَّى عليهم أو ندَّعي ما ليس بهم ظلماً وافتراءً، ولكننا نتعرف عليهم من خلال ما جمعه يهودي مثلهم من فكاهات تنتمي إلى التراث الشعبي الموروث عندهم.

د. سناء عبد اللطيف
١٤١٩/١٠هـ
١٩٩٩/٢/١م

تمهيد

أهمية هذه الدراسة:

- موضوع دراسة الملامح الأساسية للشخصية اليهودية وطبائعها من خلال تحليل فكاهاتهم موضوع جديد لم يتناوله أي باحث من قبل.

- إن دراسة فكاهة شعب ما، وسيلة جيدة تساعد على فهم أبعاد الشخصية الأساسية وطبائعها والتغلغل في أعماقها النفسية، وكشف ما تخفيه من أفكار ومعتقدات وعادات وراء القناع الباسم.

- تخترق الفكاهة دفائن النفسية بكل تفاصيلها وأبعادها الحقيقية بدون رتوش وبطريقة فطرية وعفوية، لذلك فهي تضع عاهات الشخصية وأمراضها تحت الميكروسكوب، وتلقي عليها نظرة تشريحية عميقة تساعد على تعيين السِّمات العامة للشخصية.

الهدف من الدراسة:

- كشف النقاب عن الوجه القبيح للشخصية القومية اليهودية، ورصد طبائع اليهود وأخلاقهم من خلال فكاهاتهم ونكاتهم، ونوادرهم، ليس من قبيل السبِّ والتجريح، أو المبالغة والتهويل لهذه الصفات السلبية، ولكن من قبيل معرفة الآخر (اليهودي).

- تعرية الشخصية اليهودية، والتعمق في خبايا نفسيتها، وتسليط الضوء وتركيزه عليها، بهدف كشف الجوانب الخافية تحت السطح، وذلك حتى نكون على معرفة معمَّقة بطبائع هذا الجنس البشري، كإحدى وسائل

المواجهة، وتسهيل إدارة الصراع القائم بين اليهود والعرب.. وعندما أقول: «الصراع» لم أقصد هنا «الحروب والمعارك»، ولكن أقصد الصراع الفكري، والتحدِّي الحضاري، وهو أكثر خطورة وأهمية، لذلك وجب علينا أن نفكَّ طلاسم هذه الشخصية، وأن نفهم تفاصيل خريطتها كي ننبِّه الرأي العام العربي بحقيقة طبائع وأخلاق هؤلاء الناس، لنتعامل معهم على أساس منطلقات محدَّدة، ومن خلال تحديد ثاقب الرؤية لكوامن ومحركات ودوافع هذه الشخصية.

الدراسات السابقة:

صدر مؤخراً كتاب تحت عنوان «مرة واحد يهودي» للأستاذ أحمد فؤاد عن دار نشر مركز الراية للنشر والإعلام، وظهرت الطبعة الأولى منه عام ١٩٩٨.

وبدراسة هذا الكتاب اتضح لي ما يلي:

ـ قام الكاتب برصد النكات التي يتم تداولها بين الإسرائيليين بشكل شفهي.

ـ ركَّز جزء كبير من هذه النكات على التعبير عن واقع المجتمع الإسرائيلي بكل متناقضاته.

ـ أفرد المؤلف جزءاً من الكتاب لرصد مواقف حقيقية، وأحداث حدثت بالفعل، وأقوال تثير الضحك لشخصيات يهودية في إسرائيل، بالإضافة إلى ترجمة أخبار وردت في الصحف الإسرائيلية تبعث على الضحك أيضاً.

ـ وجدتُ أن هناك ثلاث نكات فقط وردت في هذا الكتاب، موجودة في دائرة معارف الفكاهة اليهودية التي اتخذتها حدوداً أو إطاراً استقيت منه المادة التي استُخدمت في موضوع الدراسة.

حدود هذه الدراسة:

ترجمة وتحليل ودراسة مختارات من النكات والنوادر والقصص الفكاهية التي وردت في «دائرة معارف الفكاهة اليهودية».

التعريف بدائرة معارف الفكاهة اليهودية:

تضم «دائرة معارف الفكاهة اليهودية» بين دفتيها ٤٥٨ صفحة من القطع المتوسط، كتبها هنري. د. سبالنج، ونشرتها دار نشر جوناتهان دافيد، في نيويورك عام ١٩٦٩. وتحتوي الموسوعة على نماذج من الفكاهة الشعبية المختلفة المعروفة وهي: النكتة، النادرة، والقصة الفكاهية.

تساؤلات تطرحها هذه الدراسة:

- ما هو دور الفكاهة باعتبارها عنصراً من عناصر الفولكلور في تحديد معالم الشخصية القومية؟.

- على من يضحك اليهود في فكاهاتهم؟ ولماذا؟؟.

- هل استطاع اليهود التخلّي عن كآبتهم وكفُّوا عن التشدُّق بمقولة الاضطهاد اليهودي؟ أم استقوا منها مادة لفكاهاتهم أيضاً؟ وهل هذه النوعية من الفكاهات تثير الضحك في متلقّيها؟.

- ما هي أبرز السمات العامة للشخصية اليهودية التي أثارها الموروث الشعبي الذي يمثل رؤية اليهود لذاتهم؟ وما الذي يمكن استخلاصه من الفكاهات التي دارت في فلكها موسوعة الفكاهة اليهودية؟.

- هل هناك اختلاف بين ملامح الشخصية اليهودية في الماضي والحاضر؟.

- ما هي سمات الفكاهة اليهودية، وما نوعية أبطالها وأشخاصها؟.

منهج هذه الدراسة:

- تستخدم الدراسة منهج «الشخصية والثقافة»، وهو المنهج الذي

يبحث في اكتشاف الخطوط المشتركة في سلوك أعضاء جماعة معينة، وإلقاء الضوء على السمات الأساسية للشخصية.

ـ تستخدم الدراسة أسلوب دراسة الثقافة عن بُعْد، نظراً لاستحالة القيام بدراسة حقلية مباشرة.

ـ تقوم الدراسة باستخلاص سمات الشخصية اليهودية وملامحها الأساسية من خلال تحليل نماذج من الفولكلور اليهودي، وتركِّز الدراسة هنا على الفكاهة اليهودية كأحد عناصر التراث الشعبي.

ـ تعدُّ هذه الدراسة من البحوث الوصفية التي تعتمد على قراءة وترجمة وتصنيف وتحليل مضمون مختارات من الفكاهة اليهودية التي وردت في «دائرة معارف الفكاهة اليهودية» كنموذج من الأدب الشعبي الموروث، ومحاولة استخلاص تعميمات ذات مغزى تؤدي إلى معرفة أبعاد موضوع الدراسة.

ـ تمَّ اختيار عيِّنة عشوائية وصل عددها إلى حوالي (١٠٠) نكتة ونادرة وحكاية فكاهية، كنماذج تعكس واقعاً شائعاً عن طبائع اليهود، واتجاهاتهم النفسية، وسلوكهم، وسِمات شخصيتهم، بهدف الوصول إلى الحقائق الخاصة بجوانب الموضوع، وكشف ما وراء النص.

تفسير مصطلحات هذه الدراسة

الشخصية القومية:

هو طراز الشخصية الشائع في أمة ما. ويعرّفها ماندلباوم بأنها: «انتظامات العملية السيكولوجية التي تميِّز مجموعة معينة من الرجال والنساء».

ويساوي هوبل بين مفهوم «الشخصية القومية» و «طراز الشخصية المثالي الجماعي».

ويحدِّد باحث مثل باخ الشخصية القومية بأنها: «الطبيعة الروحية الخاصة لشعب من الشعوب»[1].

الشخصية الأساسية:

يعرِّف كاردينر الشخصية الأساسية بأنها: «ذلك الشكل من الشخصية المشترك بين السواد الأعظم من أبناء المجتمع، نتيجة خبراتهم السابقة المشتركة»[2]. ويمكن تعريف الشخصية الأساسية بأنها تلك الشخصية التي تتشابه فيها الأنماط الاجتماعية والسلوكية، وتأخذ طابعاً مميزاً، ويكون لها خصائص تنتقل من جيل إلى جيل، ويصبح لها وجود استمراري يأخذ شكل الثبات في الجماعة.

---

(١) إيكه هولتكرانس، ترجمة الجوهري. محمد (د)، الشامي. حسن (د)، قاموس مصطلحات الإثنولوجيا والفولكلور، دار المعارف، الطبعة الأولى، ١٩٧٢، ص٢٢٨، ٢٢٩.

(٢) المرجع السابق ص٢٢٧.

الشخصية المنوالية:

أطلق مصطلح الشخصية المنوالية للدلالة على أكثر أنماط الشخصية شيوعاً في مجتمع معين[١].

الطابع القومي للشخصية:

يعني الصفات السلوكية التي ترتبط بالفرد لمجرد انتمائه إلى مجتمع معين، أي أن الطابع القومي ظاهرة تنبع من التحليل الموضوعي للسمات والملامح الفردية على المستوى الجماعي والشمولي[٢].

وخلاصة القول: يمكن أن نعرِّف الطابع القومي بأنه: (تلك الصفات أو السمات العامة التي يتصف بها شعب ما، ويشترك فيها أغلب أشخاص هذا المجتمع).

الشخصية اليهودية:

هي افتراض أن هناك سمات ثابتة للشخصية القومية اليهودية لا تتغير بتغير المكان أو الزمان[٣].

الفولكلور:

قام علماء الأثنولوجيا[٤] والأنثربولوجيا[٥] بتقديم تعريفات مختلفة

---

(١) نفس المرجع ص٢٣٠.

(٢) الشامي. رشاد (د) م. س. ذ. ص٢.

(٣) المسيري. عبد الوهاب(د) موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، الأهرام، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، سنة ١٩٧٥، ص٢٢١.

(٤) أثنولوجيا: هو علم الإنسان ككائن ثقافي. انظر (إيكه هولتكرانس، م. س. ذ. ص٥١).

(٥) أنثروبولوجيا: هو علم الإنسان، وكان مفهوم الأنثروبولوجية مستخدماً قديماً ليدل على علم النفس، وكان راوخ أول من استخدم هذا المصطلح لأول مرة سنة ١٩٤١ بمدلول مختلف عن معناه السيكولوجي السابق، وحدَّده على أنه: «دراسة المؤثرات الخارجية التي يخضع لها العقل، والتغييرات التي تتم فيه بمقتضاها»، ويقول العالم الأمريكي=

لمصطلح الفولكلور[1]، وكان ويليام جون تومز الذي صك هذا المصطلح لأول مرة عام ١٨٤٦، قد عرف الفولكلور بأنه: (آداب السلوك والمعتقدات والأساطير والعادات التقليدية الشائعة بين عامة الناس) أي أن الفولكلور يعد جزءاً من الثقافية الشعبية التي تمثل التراث القديم.

ونجد فارينال يقول عن الفولكلور: (إنه ذلك الجزء من الماضي الذي يحتوي على الحاضر).

ويصف بوتر الفولكلور بأنه: (الحفريات الحية التي ترفض أن تموت).

ويقول تايلور: (إن الفولكلور يتكوَّن من المواد التي تنتقل من جيل إلى جيل دون إسناد ـ تعتد به ـ إلى مبدع أو مؤلف معين).

ووصفه أندرو لانج بأنه: (دراسة الرواسب الثقافية) أي أنه بقايا عصر سالف ما زالت موجودة في الثقافة المعاصرة.

إذن يمكن القول بأن الفولكلور هو المنتجات الثقافية التي أوجدها الشعب. وهو أيضاً التراث الروحي للشعب، وخاصة التراث الشفاهي. وعلم الفولكلور هو ذلك العلم الذي يبحث في حياة شعب ما وروحه كما يتجلَّيان في عاداته وتقاليده وحكاياته وأساطيره الشعبية وفكاهاته وأقواله المأثورة المحفوظة شفاهياً.

الأدب الشعبي:

هو نوع من الإنتاج الأدبي الشعبي، ويعدُّ الأدب الشعبي جزءاً هاماً من التراث الشعبي، ويتضمن الحكايات الشعبية، والأغاني، والأهازيج،

= بواس فرانز: «تدرس الأنثروبولوجيا الإنسان ككائن اجتماعي، ويشمل موضوع دراستها جميع ظواهر الحياة الاجتماعية الإنسانية دون تحديد زماني أو مكاني»، ويقول كروبر: «الأنثروبولوجيا هو علم دراسة جماعات الناس وسلوكهم وإنتاجهم». انظر (إيكه هولتكرانس: م. س. ذ. ص٤٩).

(١) إيكه هولتكرانس، م. س. ذ. ص٢٨٠.

والألغاز، والفكاهات، والأمثال... إلخ، أي إن الأدب الشعبي هو الأشكال والمضامين والمواد الثقافية المختلفة التي يعبِّر بها الشعب عن ذاته.

الفصل الأول

الفكاهة ودراسة الطابع القومي للشخصية

تمهيد:

ما دمنا بصدد الحديث عن الشخصية الأساسية، يجدر بنا أن نتعرف على محدِّدات الطابع القومي للشخصية، أو المؤثرات التي تؤثر في الشخصية المنوالية، وهي باختصار شديد[1]:

١ ـ عامل الوراثة ـ العامل البيولوجي ـ الذي يساهم في تحديد وتشكيل الشخصية.

٢ ـ مؤثرات البيئة الطبيعية وهو ما يطلق عليه حديثاً الجغرافيا النفسية؛ لأنها تلعب دوراً أساسياً في تفسير الخصائص النفسية لكل جماعة محلية.

٣ ـ الظروف التاريخية والاجتماعية لشعب أو مجموعة من الشعوب، وهي مشابهة في أهميتها لتجارب الحياة بالنسبة لتشكيل الشخصية.

٤ ـ إسهامات علم الفولكلور في هذا الميدان.

وغاية ما يهمنا في هذا المقام هو إلقاء الضوء على الفولكلور، ودوره في تحديد المعالم الأساسية للشخصية القومية.

ففي الحقيقة، يعتبر الفولكلور محدّداً هاماً لجوهر الروح الشعبية، فهو يعني بتحديد خصائصها السيكولوجية ليصل في النهاية إلى استكشاف طراز

---

(١) لمزيد من التفاصيل انظر: الجوهري. محمد (د)، علم الفولكلور، دراسة في الأنثروبولوجية الثقافية، الطبعة الثانية، سنة ١٩٧٨، دار المعارف، ص٣٥٠، ٣٥٤.

الشخصية الشائع، أو بمعنى آخر إنه يكشف لنا عن المظاهر المميزة والنمطية عند الشعب... وعلى هذا يمكن القول أن للفولكلور أهمية كبيرة في الكشف عن الملامح الأساسية للشخصية القومية؛ حيث أن فهم الشخصية من خلال تراثها الشعبي يعدُّ أبعد أجزاء الثقافة غَوْراً، وأكثرها تمكُّناً، وأعصاها جميعاً على التغيير والتطوير، وأقربها إلى النفس[1]. وقد أكد علماء الأنثروبولوجيا مراراً وتكراراً أن الثقافة الشعبية مسؤولة عن الجزء الأكبر من محتوى أي شخصية.

والفولكلور هو تسجيل للموروثات الشعبية الشفاهية التي تتناقلها الأجيال جيل بعد جيل بطريقة تلقائية، وهذه الموروثات الشعبية تحمل رؤية الشعب لتاريخه وتفسيره لمسيرته الحضارية، كما تَشِي بكل ما كان يحركه من قيم أو مُثُل عليا والنظام الأخلاقي الذي حكم حركته، وفيه تعبير تلقائي عن الناس في حياتهم اليومية[2].

ويتضمن الفولكلور أشكالاً مختلفة من العناصر الثقافية منها الأسطورة والسيرة الشعبية والحكايات والألغاز والأمثال والأغاني والفكاهات... إلخ.

هذا... وقد اخترنا الفكاهة موضوعاً لدراستنا باعتبارها مُنْتَجاً ثقافياً ينتمي إلى فن الفولكلور، وهي شكل من أشكال التعبير عن الأدب الشعبي:

والفكاهة اسم من التفكيه والمزاح وما يمتع من حديث[3].

وتتضمن الفكاهة ثلاثة أنواع متقاربة بعض الشيء من مواد الإبداع الشعبي، وجميعها تثير الضحك، ولها طابع فكاهي قصصي مرح يستخدم التلاعب بالألفاظ أحياناً للسخرية من الواقع، وجميعها تهدف إلى تأكيد وضع

---

(١) المرجع السابق، ص٢٣.

(٢) قاسم. عبده قاسم (د)، بين التاريخ والفولكلور، الناشر عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية سنة ١٩٩٣ ص١٧.

(٣) المنجد الأبجدي، الطبعة التاسعة، سنة ١٩٦٨، دار المشرق، بيروت، لبنان، ص١٠٨٩.

الإنسان في الحياة، وإزاحة المتاعب النفسية عنه... ولكن هناك بعض التفاصيل الدقيقة التي تميز كل تصنيف عن الآخر؛ وهذه الأشكال الفنية هي:

١ ـ النكتة:

تعتبر النكتة نوعاً من الفنون الشعبية القولية، بل من أوجز فنون القول، فهي صنعة دقيقة تحتاج إلى حيِّز زمني محدود، وهي عبارة عن قصة قصيرة جداً تتميز بطبيعتها الدرامية، كما أنها تتميز بتصعيد الحَدَث، وتأتي نهايتها بطريقة فجائية تتركز فيها الفكرة الأساسية للنكتة[١]، ويشترط في النكتة تركيز الفكرة في أخف الألفاظ على السمع مع تقليل كلماتها وحروفها حتى لا تفقد جمالها في التطويل. ويمكن القول أيضاً أن النكتة مَرَح ذهني، ومن أهم خصائصها الاكتشاف المفاجئ للمعنى المزدوج[٢].

والنكتة في اللغة تعني الجملة اللطيفة التي تؤثِّر في النفس، وهي الكلام الذي ينطوي على دعابة وفكاهة ومرح؛ لذلك يقال عنها ملحة لأنها تحدث تأثيراً مليحاً، ومتعة جمالية وروحية في النفس.

كما يقال: «إن النكتة عبارة عن النقطة السوداء في الأبيض، أو النقطة البيضاء في الأسود»[٣]. وذلك لأنها تسلِّط الضوء على سلبيات الشخصية ومساوئها، كما تلقي الضوء أيضاً على الصفات الإيجابية التي تكون زائدة عن الحد وتتميز بالإسراف، فتتحول هذه القيم الأخلاقية إلى صفات سلبية، مثل الكرم الزائد الذي يتسم بالسَّفَه والتبذير، أو الشجاعة المتهورة، أو الشهامة الحمقاء التي قد تؤذي صاحبها، أو الذكاء المفرط الذي يتحوَّل إلى دهاء... إلخ.

---

(١) الجوهري، علم الفولكلور، م. س. ذ. ص٧٣.

(٢) فؤاد. أحمد، مرة واحدة يهودي ـ التجسس على النكتة اليهودية، مركز الراية للنشر والإعلام، ص١٣.
انظر أيضاً: إبراهيم. نبيلة (دكتورة)، أشغال التعبير الأدبي الشعبي، دار المعارف، الطبعة الثالثة، سنة ١٩٨١، ص٢٤٧.

(٣) المنجد الأبجدي، م. س. ذ. ص٧٦٩.

ويطلق على النكتة كذلك لفظ «قفشة»؛ لأنها تقفش عيوب الشخصية، وتبرزها، وتسلط الضوء عليها لتكون موضوعاً للتندر والسخرية.

وكلمة نكتة باللغة العبرية تسمى «بديحاه»[1]، وهي قريبة من الكلمة العربية «فضيحة»، خاصة أن حرف «ب» ينطق في اللغة العبرية في بعض المواضع «ف»، ويتفق لفظ هذه الكلمة مع معناها أيضاً، ذلك لأن النكتة تفضح الشخصية بإظهار عيوبها والتركيز عليها.

٢ ـ النادرة:

وهي تعني الحَدَث الطريف الذي يُسْرد سرداً، كما تعني أسطورة تاريخية مرتبطة بشخص معين[2].

٣ ـ القصة الفكاهية:

تتميز القصة الفكاهية، أو الحكاية الهزلية بالطول؛ فهي تستغرق حيِّزاً زمنياً أطول من النكتة، كما تتميز أيضاً بغياب عنصر التصعيد المشار إليه في النكتة، وغياب النهاية الفجائية في الغالب[3].

والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن الآن هو: لماذا اتخذنا من الفكاهة اليهودية مجالاً لكشف معالم الشخصية القومية اليهودية؟

إن الفكاهة فن أدبي يدخل في نطاق الفولكلور، والفولكلور يعتبر أحد مسالك المعرفة بالطابع القومي للشخصية؛ حيث يعكس الصورة النمطية لطابع وسلوك الشعب وتراثه الروحي ومعتقداته وعاداته الاجتماعية الشائعة.

وحيث إن الفكاهة نوع من التعبير الشعبي الموروث، فهو اعتراف من الشعب بخصاله، وانعكاس لرؤية الجماعة لذاتها وأفكارها وقيمها

---

(١) قاموس عبري ـ عربي.

(٢) الجوهري، علم الفولكلور، م. س. ذ. ص٧٣.

(٣) المرجع السابق، نفس الصفحة.
انظر أيضاً: إبراهيم. نبيلة (دكتورة)، م. س. ذ. ص٢٤٨.

واتجاهاتها، ومن ثَمَّ فهي تنطوي على قدر كبير من الحقيقة.

والفكاهة تمثل أيضاً ثقافة الشعب، والثقافة هي مجموعة الفروض الإيديولوجية والسلوك المكتسب والسمات العقلية والاجتماعية والمادية المتناقلة، والتي تميز جماعة اجتماعية بشرية، ويذهب جوستان كليم عالم الأثنولوجي بأن الثقافة تشتمل على العادات والمهارات والحياة العامة في أوقات السلم والحرب والدين والعلم والفن. أما الثقافة على حد تعريف كروبر فتشمل المعرفة والمعتقدات والأخلاق والقانون والعادات وأي قدرات أخرى[١].

والنكتة لا تستهدف الإضحاك فحسب، وإنما تريد أن تسخر من شيء ما في حياة الإنسان اجتماعياً كان أم اقتصادياً أم سياسياً، فالفكاهة تستمد موضوعاتها من الحياة اليومية[٢]؛ ومعنى ذلك أن الفكاهة تكشف عن أعماق الإحساس في الشخصية، وتتوغل في دفائن النفسية، وتزيح النقاب عن خباياها. وحيث إن الفكاهة تحرِّر من ضغط تعانيه النفس البشرية، ومن نفوذ يسيطر عليها[٣]، إذن فهي مسلك هام للكشف عن رغبات الإنسان، وآماله المستقبلية.

وبناء على ما سبق نستطيع أن نقول: إن الفكاهة ستساعدنا على أن نضع أيدينا على تضاريس الشخصية والتعرف على معظم معالمها الحقيقية.

ويقول هنري برجسون: «إن النكتة قابلة لأن تحلَّل تحليلاً يمكن أن نَصِفَها بتركيبة الصيدلي إن صح التعبير، فنقول: خذ الكلمة فضخِّمها أولاً حتى تغدو مشهداً ممثلاً، ثم ابحث عن الزمرة الهزلية التي ينتسب إليها هذا المشهد، فإذا فعلت ذلك، ردَدْتَ النكتة إلى أبسط عناصرها ووصلت إلى تفسيرها كاملاً»[٤]. ولنعالج نحن موضوعنا بهذه الطريقة من خلال وثائق من الفكاهة تمثِّل الذات اليهودية.

---

(١) إيكه هولتكرانس، م. س. ذ. ص١٤٣.

(٢) عفيفي محمد، النكتة فن جميل، الهلال، أول أغسطس، سنة ١٩٩٦، ص١٥.

(٣) إبراهيم. نبيلة (دكتورة)، م. س. ذ. ص٢٤٩.

(٤) هنري برجسون، ترجمة سامي الدروني وعبد الله بن عبد الدايم، سلسلة الأعمال الفكرية، مكتبة الأسرة، مهرجان القراءة للجميع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٩٨، ص٧٦.

ويقول الدكتور محمد الجوهري وهو من روَّاد علم الفولكلور في مصر: (إن الفكاهة تمدنا بوسيلة التوصُّل إلى بعض الجوانب الإيسوتيرية[١] للثقافة، لم يكن يتسنّى إدراكها بأي وسيلة أخرى، كما تكشف عن العناصر العاطفية ـ الروحية ـ للثقافة كالاتجاهات والقيم والأهداف الثقافية، بل الأهم في ذلك أن هذا النوع من الأدب الشعبي يصاغ لنا في كلمات هذه المعاني بحيث لا تحتاج إلا إلى ترجمته واقتباسه كدليل على رأي يجمع عليه أبناء الثقافة أنفسهم)[٢].

وبالفعل هذا ما حدث عندما أقدمتُ على استخدام الفكاهة اليهودية لكشف الملامح الحقيقية للشخصية الأساسية المنوالية القومية اليهودية، قمتُ بترجمة المادة واقتباس هذه الفكاهات لكي يستقي منها القارئ ما يفيد معرفة محتوى شخصية هذا الجنس البشري دون تعليق مني، ودون حاجة إلى شرح أو تفسير.

وأخيراً يمكن القول... إنه بما أن الفكاهة ما هي إلا نوع من أنواع الأدب الشعبي، وبما أن الأعمال الأدبية بصفة عامة تعتبر مادة أولية يمكن بدراستها تحديد المعالم السلوكية للشخصية النمطية الشائعة لشعب ما، وأنها من الدراسات المعترف بها في مجال التعرف على خصائص الشخصية، والتنبؤ باستجاباتها وردود أفعالها[٣].

---

(١) العامل الأيسوتيري: هو نظرة الجماعة إلى نفسها، وافتراضاتها عن تفكير الآخرين عنها، أما العامل الاكسوتيري؛ فهو فكرة الجماعة عن الجماعات الأخرى، وما تظنه الجماعة عن تصور الجماعات الأخرى عن فكرها هي.

(٢) الجوهري، علم الفولكلور، م. س. ذ. ص١٢٤.

(٣) لمزيد من التفاصيل، انظر: الشامي. رشاد (دكتور): الشخصية اليهودية في أدب إحسان عبد القدوس، دار الهلال، العدد ٤٩٦، إبريل سنة ١٩٩٢، ص ٥٦، ٥٧.

الفصل الثاني

اليهود يضحكون على الناس وعلى أنفسهم

تضمَّنت موسوعة (الفكاهة اليهودية) فكاهات تناولت تصرُّفات ومواقف مختلفة لأناس من المجتمعات المختلفة التي عاش فيها اليهود، ونكات أخرى تدور حول ذات الشخصية اليهودية.

ويجدر الإشارة هنا أننا نبحث في هذه الدراسة عن سمات الشخصية القومية National Character وليس الصورة القومية National Image، فالأول يعني الطابع القومي أي التحليل الموضوعي للسمات والملامح الفردية على المستوى الجماعي والشمولي. أما المفهوم الثاني ـ أي الصورة القومية ـ فتعني تصوُّر مجتمع لمجتمع آخر، سواء أكان هذا التصوُّر يعبِّر عن الحقيقة ويعكس الواقع، أم أن هذا التصوُّر يخضع لعملية تشويه مقصودة[1]. أي أننا نبحث هنا في كشف سِمات الشخصية اليهودية من خلال رؤيتها لذاتها، وبناء على ذلك فلن نتطرق للفكاهات التي يتندَّر فيها اليهود عن الآخرين، وقد يكون ذلك موضوعاً لدراسة أخرى بإذن الله.

والآن يجدر بنا أن نطرح على مائدة البحث عدة تساؤلات هامة تساعدنا على فهم جنبات الموضوع:

السؤال الأول: لماذا يضحك اليهود على الناس؟

للإجابة على هذا السؤال بعدان أساسيان:

---

(١) الشامي. رشاد (د)، الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، م. س. ذ. ص٢٦١.

البعد الأول:

إن اليهود يضحكون على تصرُّفات الآخرين كنوع من الاحتجاج على تصرفاتهم، لأنها لا تعجبهم، فهي غالباً ما تتنافى مع منفعتهم وتتعارض مع مصلحتهم، ولذلك فهم ينتقمون ممن يتطاول عليهم، ويلوِّحون عن عقابهم لهم بإطلاق النكات اللاذعة عليهم عسى أن يشعروا بتأنيب الضمير ويتعاطفوا معهم؛ لأن الضحك يخزي ضحيته.

أما البعد الثاني لهذا الموضوع:

ينبع من طبيعة اليهود التي درجت على احتقار الآخرين ـ خاصة غير اليهود ـ، والعمل على تضخيم مساوئهم، وتشويه صورتهم، وتلطيخ سمعتهم بهدف شحن العقلية اليهودية وتغذيتها بسموم الحقد والغل والكراهية والانتقام من غير اليهود، ومن ناحية أخرى بغرض تبرير العنف المضاد من جانبهم تجاه الآخرين.

❁ ❁ ❁

السؤال الثاني: لماذا يضحك اليهود على أنفسهم؟

للإجابة على هذا السؤال أيضاً أبعاد مختلفة على النحو التالي:

البعد الأول:

إن الضحك سلوك إنساني طبيعي، وليد جهاز تحركه الطبيعة[1]. واليهود يقولون النكتة لكي يؤكِّدوا أنهم طبيعيون، ويضحكون مثل البشر العاديين، وأنهم بذلك يدحضون المقولة التي تتردد عنهم وتقر أنهم شواذ، ويفتقدون لروح الفكاهة.

البعد الثاني:

تردَّد كثيراً أيضاً أنه ليس لليهود تراث قديم من النكات التي تنتمي

---

(١) برجسون. هنري، الضحك، م. س. ذ. ص٩٤.

للعصور الوسطى والقديمة بسبب تشتتهم في جميع أنحاء العالم[١]، ولكن كاتب هذه الموسوعة الخاصة بالفكاهة اليهودية يريد أن يرسل رسالة إلى العالم تقول: إن لليهود فولكلوراً قديماً، وفكاهة شعبية تتناقلها الأجيال وترددها جيلاً بعد جيل.

البعد الثالث:

إن الضحك يعاقب بعض العيوب، كما يعاقب المرض بعض أنواع الإفراط[٢]. واليهود يعاقبون أنفسهم رغماً عنها، وبدون إرادة منها في ذلك، عندما يطلقون النكت ويتندرون فيها على طباعهم السيئة، ويؤكد الأستاذ الدكتور رشاد الشامي على أن النكت اليهودية تتناول اليهود بطريقة مليئة بالسخرية[٣].

البعد الرابع:

إن إظهار العيوب من خلال الفكاهة يجعل صاحبها يشعر بالخجل والخزي ويحاول أن يغير من طباعه. ويبدو أن اليهود يضحكون على أنفسهم عسى أن تتغير طباعهم غير السوية، كما أن النكتة تسخر من الجانب السلبي في الشخصية، والإنسان بطبيعته يميل إلى الجانب الإيجابي ويطمح إليه[٤].

البعد الخامس:

كثيراً ما توصف الفكاهة على أنها سلاح في يد الضعفاء حيال القوة المتفوِّقة، واليهود الضعفاء يفعلون ذلك ويعتبرونه نوعاً من الدفاع السيكولوجي للمحافظة على توازن الأشخاص في الأوضاع غير المعقولة[٥].

---

(١) فؤاد. أحمد، مرة واحدة يهودي، م. س. ذ. ص٢٢٢.
(٢) المرجع قبل السابق، ص١٢٩.
(٣) الشامي. رشاد (د)، الشخصية الإسرائيلية والروح العدوانية، م. س. ذ، ص٤٤٣.
(٤) إبراهيم. نبيلة (دكتورة)، م. س. ذ. ص٢٥٩.
(٥) المرجع قبل السابق نفس الصفحة.

وفي ذلك أيضاً يقول هنري برجسون: «إن المجتمع إن لم يهدِّد الفرد بالعقاب تهديداً، فإنه يلوِّح له بالمهانة»[1]. أي أن الفرد الضعيف إذا لم يستطع أن ينتقم من القوي الظالم، فإنه يعرب عن اعتراضه واستيائه عن طريق النكتة.

البعد السادس:

تستمد الفكاهة مادتها من الحياة اليومية، وعلى هذا فهي تقوم بالسخرية من شيء ما في حياة الإنسان سواء كان هذا الشيء سياسياً أو اقتصادياً أو اجتماعياً أو حتى عقائدياً، كما أن الفكاهة نوع من التعبير الإنساني الذي يهدف إلى إزاحة المتاعب النفسية عن الشخص[2]، وبناء على ذلك فإن اليهود يضحكون على أنفسهم كنوع من الهروب من الواقع الذي يرفضونه في داخلهم، وتنفيساً عن الآلام التي يعانون منها والمشاكل التي تثقل كاهلهم. ويجب أن نشير هنا إلى أن اليهود يبالغون في التندر عن معاناتهم كدأبهم دائماً في استغلال مقولة الاضطهاد اليهودي والتشدُّق بما يطلقون عليه معاداة السامية.

البعد السابع:

إن هناك علاقة قوية بين النكتة والحلم، وقد حاول فرويد أن يردَّ الدافع النفسي لقول النكتة إلى الدافع النفسي الذي ينجم عنه الحلم، وهو يؤكِّد على أن الحلم ينتج عن محاولة التغلُّب على عنصر الرقابة على الشعور، تلك الرقابة التي تؤدي وظيفتها بنجاح في أثناء اليقظة، فإذا ضعفت الرقابة في أثناء النوم، تدفق اللاشعور متمثلاً في مادة الحلم، فالحلم يتمثل إذن في عمليتين: إحداهما زحزحة عنصر الرقابة عن اللاَّشعور، وثانيهما التركيز على دوافع اللاّشعور، وهما العمليتان الأساسيتان اللتان تنشأ عنهما النكة. وهناك وجه شبه بين الحلم والنكتة يتمثل في إدراك المغزى من

---

(١) برجسون. هنري، الضحك، م. س. ذ. ص١٤٩.

(٢) عفيفي. محمد. النكتة فن جميل. م. س. ذ. ص١٩.

اللامغزى، فالنكتة وفقاً لرأي فرويد تحمل في طياتها المغزى النفسي البعيد مثل الحلم[1]. وإذا بحثنا في الأصول الفكرية للشخصية اليهودية؛ نجد أن الاستغراق في الأحلام طبعٌ جُبِل عليه اليهود، فمنذ قديم الزمان حلم أجداد اليهود بقدوم المسيح المخلِّص الذي ينقذ اليهود من العبودية، وحلموا بالأرض الموعودة وإقامة دولة يهودية تضم بين جدرانها اليهود من جميع أنحاء العالم، ثم حلموا بعد ذلك بدولة إسرائيل الكبرى التي جاء وصف خريطتها في العهد القديم، والآن يحلم اليهود بالسيطرة على شعوب العالم وسيادتها والتحكُّم في مقدَّراتهم وأفكارهم وثقافاتهم واقتصادياتهم... إلخ. وعلى هذا أصبح الاستغراق في الأحلام مكوِّناً نفسياً رئيسياً في تركيبتهم السيكولوجية، ومن هنا تكون النكتة مدخلاً جيداً للغوص في مكنون نفسية اليهود والإطلاع على أحلامهم.

البعد الثامن:

إن طبيعة الإنسان تحبِّذ أن يحتفظ الفرد بسر خاص به، ويحرص على أن يظل هذا السر في داخله، ولا يبوح به لأحد؛ لأنه يمثل نقطة ضعف في شخصيته، أو ربما تقف القيود الاجتماعية أو الدينية حائلاً دون إفشائه. وفي نفس الوقت هناك لحظات يشعر فيها الإنسان بضغط نفسي يهدِّده، ويجد نفسه يشعر بدافع نفسي آخر يسعى لإزاحة هذا الضغط، فلم يبق في وسعه حين ذلك إلا أن يستخدم التلميح الذكي المصحوب بالمرح، والذي يؤدِّي به إلى حالة الانطلاق النفسي[2]، واليهودي كإنسان له ظروف خاصة، ويقع تحت طائلة قيود اجتماعية، ودينية مختلفة؛ لذلك فهو يرى في النكتة متنفَّساً يزيح عنه الكثير من الضغوط النفسية.

البعد التاسع:

ما أروع أن يضحك الإنسان على نفسه، فإنه بذلك يكون قد بلغ مرتبة

---

(١) إبراهيم. نبيلة (دكتورة) م. س. ذ. ص٢٦٣.

(٢) المرجع السابق ص٢٦١.

الفلاسفة. واليهود يحاولون إثبات أنهم قد وصلوا إلى هذه المرتبة بالتنكيت على أنفسهم، ومن ناحية أخرى يريدون أن يدلِّلوا على سَعَة صدر اليهودي وتقبُّله للنقد الاجتماعي.

البعد العاشر:

قد يتسامَى المرء عن الصفة السلبية له بترديده إياها، وقد يكون تركيز اليهود على سلبياتهم في فكاهاتهم من هذا القبيل.

❁ ❁ ❁

السؤال الثالث: هل تحتوي فكاهات اليهود على قصص اضطهاد حَدَثَتْ لهم؟

إننا عندما نقول: «إن اليهود شواذ في طباعهم»، فإننا نكون محقِّين كل الحق، غير متجنِّين عليهم، فما أغرب أن يتندَّر الإنسان من معاناته بمثل هذه الصورة التي عليها اليهود. إنهم يتشدَّقون بمعاداة السامية بشكل زائد عن الحد، فهم يتخذون من مقولة الاضطهاد اليهودي مادة يستقون منها أغلب فكاهاتهم.

ولنتساءل هنا أيضاً: هل يمكن أن تثير فينا هذه النوعية من النكات الضحك؟

بالطبع لا. والسبب في ذلك أن الضحك يتنافى مع الانفعال، فإذا عرض أمر يثير العطف أو الخوف أو الشفقة، فقد انتهى الأمر، ولن يستطع أن يضحك منه الشخص[1].

ويؤكد عالم النفس مكدو كال أن هناك علاقة بين الضحك والتعاطف أو المشاركة الوجدانية. وحيث إن للانفعالات الرقيقة دوراً هاماً في الحياة النفسية، فقد أوجدت الطبيعة حيلة بيولوجية هي الضحك حتى تقينا من إثارة الشفقة البالغة والتعاطف الزائد على الحد مما يمكن أن نتعرض له بسبب ما

---

(١) برجسون. هنري، م. س. ذ. ص٩٧.

لدينا من قدرة على التأثير الانفعالي والإحساس بآلام الآخرين[1]... ومعنى هذا أن الضحك استجابة للألم الرقيق.

ومن الملاحظ أن فكرة الاضطهاد اليهودي تأخذ شكلاً مَرَضيًا، والمرض يثير الشفقة، والشفقة نوع من الانفعال، ونحن نعلم أن الضحك والانفعال لا يجتمعان، وبصفة خاصة إذا حاول اليهود المبالغة في وصف تفاصيل حوادث الاضطهاد، أو استمرار الحديث عن هذا النوع من الحكايات بطريقة مفرطة تثير الوجدان، وتحرك عواطف الشفقة في المتلقي، والنتيجة الطبيعية: لا ضحك على النكات اليهودية من هذا النوع.

ومن ناحية أخرى، فإنه من المعروف أنه لكي يكون الشيء مضحكاً ينبغي أن يكون هناك عدم انسجام بين العلَّة والنتيجة[2]، وهذا الأمر غير متوافر في فكاهات اليهود التي تدور حول اضطهادهم، فالمنطق يقول أن كل فعل لا بدَّ وأن يكون له ردّ فعل؛ بمعنى أنه لا يمكن أن يكون ثَمَّة إنسان مضطهد بهذا الشكل الذي يصفه اليهود إلا وكانت أخلاقه الشائنة، وسِمات شخصيته السيئة الشاذَّة لها دور أساسي في هذا الاضطهاد، وبناء على ذلك لا تثير فكاهات اليهود الضحك في متلقِّيها.

---

(١) إبراهيم. زكريا (دكتور): لماذا نضحك، الهلال، أغسطس سنة ١٩٦٦، ص٥.

(٢) المرجع قبل السابق، ص١٣١.

الفصل الثالث

سمات الشخصية القومية اليهودية من خلال فكاهاتهم

تتميز ملامح الطابع القومي لشخصية اليهود بصفة عامة بالقبح الشديد، كما عكستها فكاهاتهم، وكما عبَّروا هم عن ذاتهم في أدبهم الشعبي.

وعند قراءة النماذج التي أوردتها في هذه الدراسة، قد يتهمني البعض أنني خضعت لمؤثرات نفسية خاصة بي كباحثة عربية تجاه اليهود، أو أن النعرة القومية ولَّدت لديَّ تصوُّرات مسبقة، وقوالب جاهزة لوضع السلوك اليهودي في إطارها!!.

لكن يجدر أن نأخذ في الاعتبار:

١ ـ أن هذه الفكاهات سطَّرها قلم أحد اليهود، واختارها من التراث الشعبي الموروث الذي يعبر فيه الشعب عن ذاته بطريقة فطرية وتلقائية، لذلك فهي تحمل في طياتها قَدْراً كبيراً من المصداقية.

٢ ـ يلاحظ أدولف باخ عالم الفولكلور الألماني أنه قد يكون هناك مبالغة في اصطياد الفكاهة لأي صفة ظاهرية مضحكة أو خاصية تعمَّم دون تدقيق، ولكنها تنطوي على شيء مميز، ومن ثَمَّ فهي لا بدَّ وأن تحمل ظِلاً من الحقيقة[١].

---

(١) الجوهري. محمد (د.) علم الفولكلور، م. س. ذ. ص٣٤٦.

٣ ـ إن من طبيعة النكتة أنها تسلِّط الضوء غالباً على الصفات السلبية في الشخصية، بل إنها قد تركِّز أيضاً على بعض الصفات الإيجابية، ولكنها تكون زائدة عن الحد فتظهرها الفكاهة على أنها عيب في سلوك الإنسان، مثل الكرم الزائد الذي تظهره على أنه سَفَه وتبذير، والشجاعة الزائدة على أنها حماقة، والطيبة تصبح سذاجة وعبطاً وبلاهة، وحسن التصرف يكون مَكْراً ودهاء... إلخ.

والنماذج التالية من الفكاهة والتراث الشعبي اليهودي تعبر عن ملامح وسمات تلك الشخصية، بكل ما تتضمنه من طبائع واتجاهات وسلوك.

البخل الشديد وعبادة المال

اليهودي مصاب بحالة بخل من النوع المستعصي علاجه، وقد اشتهر منذ تاريخ البشرية بحبه الشديد للمال لدرجة العبادة، حتى أصبح اليهودي رمزاً معبراً لكل أشكال الحرص على المال، وبات هذا الطبع أخطر طباعه وأهمها على الإطلاق؛ فهو يفسر الحقائق بالمنطق المادي الذي ينطبق فيه مبدأ المكسب والخسارة، حتى إنه أخذ يتاجر في القيم والمبادئ والأخلاق. وكان جشع اليهودي الذي لا يعرف حدوداً، وحبه الشديد للمال سبب كل المصائب، وعاملاً أساسياً في السلوك الشائن لليهودي؛ فمن أجله يسرق، ويكذب، ويغش، ويخدع، ويطمع، ويتحايل، ويراوغ، ويقتل، ويمتهن كرامته، ويشحذ، ويتطفل... إلخ... والفكاهات التالية تثبت وجهة النظر السابقة:

١ ـ [1]عاش في ليتوانيا خياط يدعى موتيل، وكان موتيل هذا يقوم بإصلاح وخياطة ثياب جميع أفراد الطائفة اليهودية هناك، إلا أنه شخصياً كان يرتدي ملابس بالية ممزَّقة، وكان أيضاً يذهب إلى المعبد في هذه الملابس التي تشبه خيال المآتة، مما أثار غضب الحاخام وجماعة المصلين. وعرف عن موتيل أنه شخص شاذ في طباعه ويصعب التعامل معه. وفي أحد الأيام سأله أحد النبلاء البولنديين:

ـ «إنه لشيء مثير للاشمئزاز حقاً أن تكون خياطاً، وتسير في ثياب ممزقة هكذا، لماذا لا تصلح ملابسك يا رجل؟!».

---

(١) بهذا الرقم (١) نبدأ ترقيم سلسلة الفكاهات التي وردت في هذا الكتاب.

أخذ الخياط ينتحب وهو يقول:

ـ «ماذا أفعل يا سيدي؟ إنني رجل فقير، كما أنه ليس لدي متسع من الوقت أعمل فيه بدون مقابل في خياطة ثيابي».

كان هذا النبيل طيِّب القلب عطوفاً، وظل يعتذر للخياط لعدَّة دقائق، ثم ابتسم، وقال:

ـ «عندي فكرة.. أريدك أن تعتبرني زبوناً عندك».

ثم مدَّ يده، وأعطى الخياط روبلاً، واستطرد قائلاً:

ـ «أنا سأدفع لك أجراً لكي تصلح ثيابك، وعليك أن تعمل ذلك فوراً.. وتذكَّر أنك قد حصلتَ على أجرك من الزبون».

مرَّ أسبوع.. عاد بعده الثري البولندي، وزار دكان الخياط فوجده ما زال يرتدي نفس الملابس الممزقة المهلهلة، فصاح فيه:

ـ «ما هذا يا رجل؟ ليس لك أي عذر الآن في أن تبدو مثل المتسوِّل هكذا، ألم أدفع لك روبلاً لكي تصلح ثيابك هذه؟ إنك لم تلمسها بالمرة!!».

ردَّ عليه الخياط قائلاً:

ـ «آسف يا سيدي.. إنني مضطر أن أعيد لك نقودك التي دفعتها لي».

قال الثري متعجباً:

ـ «لماذا بالله عليك». قال الخياط:

ـ «أقول لسعادتكم: بعد أن تركتني الأسبوع الماضي، ذهبت إلى دكاني وفحصت ثيابي جيداً، وبصراحة يا سيدي، وجدت أن حالتها سيئة للغاية، وأدركت أن روبلاً واحداً لا يكفي؛ فإصلاحها يحتاج إلى أكثر من ذلك، وأن عملي فيها سوف يعود عليَّ بالخسارة»[1].

❁ ❁ ❁

(١) HENRY D. SPALDING, ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR, JONATHAN DAVID PUBLISHERS, NEW YORK, 1969, PP 15 - 16.

٢ ـ كان يعيش في ليتوانيا واحد من اليهود الأثرياء يدعى كيرسشمير، عرف ببخله الشديد، لذلك لم يسأله أحد من الفقراء صدقة أو معونة؛ لأن ذلك ببساطة يكون من باب ضياع الوقت.. ولكن في أحد السنوات كان الحصاد ضئيلاً، وكان عدد المحتاجين في تزايد مستمر، لذلك قرَّر الحاخام[1] أن يذهب إلى كيرسشمير ويسأله أن يعطيه معونة من أجل الفقراء والمساكين لأن حالتهم كانت صعبة للغاية.

فقال له الثري قاسي القلب:

ـ «إنني لا أستطيع أن أعطيك مليماً واحداً لسبب بسيط؛ وهو أن لديَّ أخاً فقيراً جداً، وأختاً مسكينة للغاية». رحل الحاخام دون أن يحصل على أي تبرع، وهو يتلمس العذر للرجل لأنه مسؤول عن إعالة شقيقه وشقيقته.

لكن حدث ذات يوم أن رأى الحاخام شقيق وشقيقة الثري في المعبد وهما يطلبان المساعدة، فغضب غضباً شديداً ووبخهما، ثم قال لهما:

ـ «ماذا تفعلان هنا، ألم يكن لكما أخ ثري يهتم بكما ويساعدكما؟!».

صاح الشقيقان:

ـ «من قال ذلك؟! إن أخانا لا يقدم لنا أية مساعدة، ولا يعطينا شيئاً على الإطلاق، فنحن على خصام كامل معه».

غضب الحاخام وذهب إلى الرجل الثري، وقصَّ عليه ما سمعه، فقال له بهدوء:

---

(١) الحاخام: كلمة عبرية تعني الرجل الحكيم، العاقل، المعلّم، والمتفّقة في أمور الدين، وقد أطلق عليه أيضاً اسم «رابي» بمعنى سيدي، أو أستاذي، وكان الحاخام ينتمي إلى طبقة المثقفين في الجيتو في البلاد التي عاش فيها اليهود أثناء شتاتهم، وكان هناك حاخاماً مخصصاً لكل جماعة يهودية مهمته حل مشكلاتهم الدينية والحياتية، وكان أيضاً يتولى الإشراف على الأمور الدينية والاجتماعية داخل المعبد اليهودي وخارجه (لمزيد من التفاصيل انظر: المسيري. عبد الوهاب، موسوعة إلمفاهيم والمصطلحات الصهيونية، م. س. ذ. ص٣٦١.

- «نعم يا سيدي.. هذا صحيح، إنني لم أعطهما أي مساعدة على الإطلاق».

- «إذن، كيف تجرؤ أن تقول لي ذلك في المرة الأولى؟!».

- «إنني لم أقل لك أكثر من أن لي شقيقاً فقيراً، وأختاً مسكينة، وهذا لا يعني قطُّ أنني أعطيهما أي شيء.. لكني ذكرتهما فقط كي تفهم أنني إذا كنت لم أعطهما شيئاً، فكيف أعطي الغرباء»[1].

❁ ❁ ❁

٣ - غضب زوج يهودي لأن زوجته لم تضع له طبق البيض الذي يحبه ويفضله على مائدة العشاء، وسألها عن السبب.

قالت له زوجته:

- «إننا في آخر الصيف والدجاج يضع بيضاً قليلاً، لذلك فالبيض الآن سعره غالٍ جداً؛ إن البيضة في الموسم سعرها شيكل[2] واحد، ولكن الآن سعرها ثلاث شيكلات».

استغرب الزوج وقال لها:

- «يا لها من معجزة!! حتى الدجاج يفهم في الاقتصاد والمال، إنه يقلّل من وضع البيض عندما يكون سعره شيكلاً واحداً، ويزيد من إنتاجه مرة أخرى عندما يرتفع سعره إلى ثلاث شيكيلات.. ما أذكى هذا الرب، إنه رجل أعمال ممتاز»[3].

❁ ❁ ❁

---

(١) HENRY D. SPALDING, ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR, P.42.

(٢) شيكيل: كلمة عبرية تعني وزن، وقد كان يستخدم لوزن الذهب والفضة بين اليهود القدامى وتحوّل إلى عملة أيام المكابيين، ثم قرّر الكنيست الإسرائيلي عام ١٩٦٩ أن يغيّر اسم العملة الإسرائيلية من الليرة إلى الشيكيل. (لمزيد من التفاصيل انظر: المسيري، م. س. ذ. ص٢٢٤، ٢٢٥).

(٣) HENRY D, SPALDING, ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR, op.cit. p.42.

٤ ـ أصيب يهودي غني بمرض خطير، وارتفعت درجة حرارته جداً، فاستدعت له زوجته الطبيب الذي فحصه بدقة، ثم قال لها: «آسف يا سيدتي.. إن حالة زوجك ميئوس منها تماماً، فلنصلِّ من أجله».

حينئذ.. طلب اليهودي الثري من زوجته أن تذهب إلى المعبد، وتتبرع للفقراء بمبلغ من المال، وتصلِّي من أجله.

ذهبت الزوجة إلى المعبد، ووضعت خمسين دولاراً في صندوق النذور، ثم صلَّت لله أن يشفي زوجها من مرضه.

استجاب الله لدعائها، وتماثل الرجل للشفاء.. ولكن عندما علم بأن زوجته قد تبرعت بخمسين دولاراً، غضب غضباً شديداً، وصرخ في زوجته قائلاً:

ـ «كيف وضعت هذا المبلغ الكبير في صندوق النذور؟».

ـ «لكنك أنت الذي قلت لي أن أفعل ذلك».

ـ «وأين كان عقلك يا امرأة؟ ألم تعرفي أن حرارتي كانت مرتفعة جداً، وأني كنت أهذي خارجاً عن وعيي»[1].

❁ ❁ ❁

٥ ـ أشرف ثري على الموت بعد أن تقدَّم في السن، لذلك قرَّر أن يتقرَّب إلى الله، فذهب إلى المعبد اليهودي، وطلب من الحاخام أن يعلِّمه أمور الدين، ويرشده إلى الطريق الصحيح للتوبة والتقرب إلى الله.

سأله الحاخام قائلاً:

ـ «هل خلَّصتَ ذمتك ودفعت ما عليك من ديون؟ وهل تنازلتَ عن الديون التي لك عند الآخرين وسامحتهم؟».

---

(١) HENRY D, SPALDING, ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR, op.cit. p.43.

ـ «لحظة من فضلك يا سيدي الحاخام.. إنك لا تتحدَّث الآن عن أمور الدين، ولكنك تتكلم في شؤون المال والاقتصاد وهي بعيدة عن موضوعنا!!»[١].

❁ ❁ ❁

٦ ـ دعا مورتي فتاته لتناول العشاء في أحد المطاعم.. وما أن جلسا حتى قال لها:

ـ «تتزوجيني يا فتاتي العزيزة، إني أحبك جداً جداً جداً.. وسوف أشتري لك الشمس والقمر والنجوم و...».

وحينئذ.. جاء الجرسون، فقال له الشاب:

ـ «من فضلك، فاتورتان منفصلتان.. كل منا سوف يدفع حسابه»[٢].

❁ ❁ ❁

٧ ـ جاء شحاذ جديد إلى إحدى المدن، وذهب إلى مدير البنك يسأله أن يعطيه بعضاً من المال.. استقبله الرجل استقبالاً حاراً وقال له:

ـ «أهلاً وسهلاً بك في مدينتنا».

اندهش الرجل وسأل مدير البنك:

ـ «أشكرك جداً يا سيدي على حسن استقبالك.. لكن كيف عرفت أنني غريب عن هذا المكان؟».

ـ «بسهولة جداً.. ما من واحد في هذه المدينة يفكر قط في أن يضيع وقته معي طالباً مني صدقة أو إحساناً، فهم جميعاً يعرفون طبعي جيداً!!»[٣].

❁ ❁ ❁

---

(١) HENRY D, SPALDING, ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR, op.cit. p.47.

(٢) HENRY D, SPALDING, ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR, op.cit. p.47.

(٣) HENRY D, SPALDING, ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR, op.cit. p.47.

٨ ـ يحكى أن يهودياً وافته المنية، وجاء ملكان ليحاسباه.. سأله الملاك الأول:

ـ «ما نوع الأعمال التي قمتَ بها؟».

ـ «كنت رجل أعمال، وصاحب أكبر مصنع لإنتاج الملابس، ويعمل عندي ألفا عامل».

ـ «حسناً.. ولكني أسألك عن الأعمال الطيبة التي قمتَ بها كي تدخل الجنة».

ـ «آه.. حدث ذات مرة أن أعطيت خمسة عشر مليماً لأرملة وأطفالها الذين كانوا على وشك أن يموتوا جوعاً».

كان الملاك الثاني يسجل أقوال الرجل..

عاد الملاك الأول يسأله:

ـ «أما من حسنة أو عمل خير آخر قمت به؟».

ـ «نعم.. أذكر أنه ذات مرة، وجدت كلباً يرقد في الشارع يرتعد من البرد، ويكاد يموت جوعاً، هل عرفت ماذا فعلت؟ لقد وضعت قطعة نقدية قيمتها خمسة مليمات فوق جسده شبه المتجمِّد، عسى أن يمر به شخص ما في وقت لاحق، ويكون لديه وقت ويشتري بها طعاماً للكلب».

التفت الملاك إلى زميله وسأله:

ـ «ترى ماذا نفعل مع هذا المخلوق؟!».

ـ «نعيد إليه العشرين مليماً، ثم نقذف به إلى جهنم»[١].

❁ ❁ ❁

٩ ـ سمع شاب بخيل أن إحدى صديقاته مريضة، وأنها تعاني من نزلة برد، فذهب لزيارتها وقدَّم لها هدية عبارة عن علبة بها دواء للكحَّة. تنهَّدت السيدة، ثم قالت له:

---

(١) HENRY D, SPALDING, ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR, op.cit. p.48.

ـ «أشكرك جداً، أتمنى ألا تكون قد دفعت كثيراً في هذا.. ولكن ألم يكن من الأفضل أن تحضر لي بعضاً من الزهور؟!».

ـ «زهور!! أظن أنني سمعت أنك مصابة بنزلة برد لا أكثر، وأنك لم تموتي بعد!»[١].

❁ ❁ ❁

١٠ ـ كان الحاخام في حاجة إلى بعض المال كي ينفق منه على شؤون المعبد اليهودي.. لذلك دعا اليهود إلى اجتماع عام، وتحاشَى أية إشارة إلى أنه سوف يطلب مالاً، وكان من بين الحاضرين شخصان؛ الأول يدعى موشيه والآخر مندل.. وكان هذان اليهوديان مشهورين بالبخل الشديد، ومعروفاً عنهما أنهما يرفضان المساهمة في الأعمال الخيرية.

وعندما بدأ الاجتماع، أخذ الحاخام يفصح عن الغرض من هذا الاجتماع ويطلب من الحاضرين الهبات والتبرعات. وبمجرد سماع هذه الأخبار غير السارة وقع موشيه مغشياً عليه، فقام مندل بحمله إلى الخارج[٢].

❁ ❁ ❁

١١ ـ ضاق مزارع بخيل بتكاليف طعام حصانه العجوز، لذلك بدأ يقلِّل من الطعام الذي يقدِّمه يوماً بعد يوم حتى يتعوَّد الحصان على ذلك.. مر ثلاثة شهور وتعوَّد الحصان فعلاً على أن يتناول قليلاً جداً من الطعام. بعدها قرر الرجل أن يمتنع تماماً عن تقديم أي طعام للحصان لكي يوفِّر ثمنه.. لكن حدث أن مات الحصان، فأخذ يبكي وهو يقول:

ـ «آه.. آه.. يا لسوء الحظ!! لقد أردت أن أدرِّب الحصان على أن يعيش بدون طعام فمات!!»[٣].

---

(١) HENRY D, SPALDING, ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR, op.cit. p.49.

(٢) HENRY D, SPALDING, ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR, op.cit. p.50.

(٣) HENRY D, SPALDING, ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR, op.cit. p.14.

الجشع والطمع والغش والتزييف

اليهودي شخصية جَشِعة، طمَّاعة، انتهازية، مصابة بمرض الشراهة والنَّهَم، وتتفنَّن في استغلال الآخرين... والفكاهات التالية توضِّح ذلك:

❁ ❁ ❁

١٢ ـ ذات مرة.. طلب شحاذ من الثري اليهودي الكبير البارون روتشيلد أن يعطيه مبلغاً من المال يعينه على الحياة، فأعطاه الثري مبلغاً لم يرضَ عنه الشحاذ الذي قال له:

ـ «ما هذا؟! إن ابنك يعطيني ضعف هذا المبلغ!».

ردَّ عليه روتشيلد قائلاً:

ـ «حسناً... إن ابني يستطيع أن يعطيك ذلك لأن له أباً غنياً»[١].

❁ ❁ ❁

١٣ ـ طرق شحاذ يهودي باب بيت سيدة، وأخذ يتوسَّل لها أن تعطيه كِسْرة خبز.. رقَّ قلب السيدة له، وعطفت عليه، ودعته إلى مائدتها، ووضعت أمامه طبقاً من السمك وبجانبه نوعان من الخبز: أحدهما من النوع الفاخر غالي الثامن، والآخر من النوع الرخيص الأسود.. لم تمتد يد الشحاذ للخبز الرخيص الأسود، ولكنه أتى على الخبز الغالي على آخره، فضاقت السيدة بما فعله الشحاذ وقالت له:

---

(١) HENRY D, SPALDING, ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR, op.cit. p.10.

ـ «هل تعرف أن الخبز الذي أكلته ثمنه ضعف ثمن هذا الخبز الأسود».

ـ «لقد فكرتُ في ذلك عدَّة مرات.. صدقيني يا سيدتي إنه فعلاً يستحق ما يدفع فيه»[1].

❁ ❁ ❁

١٤ ـ يحكى عن رجلين كانا يعيشان في إحدى المدن، وكانا متميزين ولا يتفوق أحد منهما على الآخر في الصفة التي لصقت به.. الأول الذي يُدعى إيزينجر كان غنياً وبخيلاً وطماعاً، والثاني الذي يدعى فينستر كان شحاذاً فقيراً ومحتالاً كبيراً، قرر الأخير أن يتحدَّى الأول؛ فذهب إليه وطرق بابه، وعندما فتح له، دار حوار طويل بين الاثنين، انتهى بإقناع الغني أن يعير الفقير فنجاناً من الفضة.

وفي اليوم التالي جاء فينستر إلى إيزينجر لكي يردَّ إليه الفنجان المعار، وأعطاه أيضاً فنجاناً صغيراً.

سأله الثري:

ـ «ما هذا الفنجان الآخر؟».

ـ خذه يا سيدي، إنه يخصك، فقد حدث في الليلة الماضية أن ولد الفنجان الكبير هذا الفنجان الصغير، وعلى ذلك فأنا أعتقد أنه من حقك».

ابتسم الثري قائلاً:

ـ «حسناً جداً.. سأقبله، وأنا تحت أمرك في أي طلب تطلبه لأنك إنسان أمين».

ـ «أشكرك يا سيدي.. أنا لا أريد أن أستعير فنجانك الفضي الآن، ولكن شقيق زوجتي سوف يصل عندنا غداً، وكم كنت أودُّ لو أن معي ساعتك المرصعة بالجواهر لكي أدلِّل بها على مدى ما حققته من نجاح وغنى».

---

(١) HENRY D, SPALDING, ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR, op.cit. p.30.

وعلى الفور قدَّم الثري الطمَّاع ساعته وهو يفكر في ابنتها، الساعة الصغيرة المرصَّعة بالجواهر، ثم قال له:

ـ «ها هي الساعة، وعليك أن تردَّها غداً.. بدون أي تأخير».

ولكن فينستر لم يرد الساعة، لا غداً، ولا بعد غد، ولا بعد أسبوع، ولا بعد شهر.. ذهب الغني إلى الشحَّاذ المحتال، وقال له في غضب:

ـ «أين ساعتي الذهبية يا رجل؟».

ـ «لقد مرضت ساعتك يا سيدي مرضاً شديداً أودَى بحياتها، فماتت على الفور».

ـ «ماتت؟ هل تمرض الساعات وتموت.. إنه شيء غير معقول على الإطلاق!!».

ـ «لماذا يكون هذا شيئاً غير معقول، فقد سبق أن وافقت على أن الفناجين تلد، فلماذا إذاً لا توافقني الآن على أن الساعات تموت؟»[1].

❁ ❁ ❁

واليهودي من فرط طمعه لا يتورع أبداً أن يغش في البيع والشراء من أجل الحصول على المال، بل وأنه يعتبر هذا الأمر شطارة ومهارة منه في مجال التجارة، لذلك يسعى إلى الحصول على أكبر نفع له في المعاملات المالية مع الآخرين، ولا يهمه أن يسلك في سبيل ذلك طريقاً شريفاً أو خسيساً، لكي يحقِّق المكسب المنشود، وتتضاعف ثروته.. والنكتة التالية تعبِّر عن هذا الأمر:

١٥ ـ اشترت إحدى اليهوديات سمكاً من أحد البائعين في سوق السمك.. ثم رجعت الزبونة تشتكي إلى البائع قائلة:

ـ «إنك جعلتني أدفع أكثر مما يجب في كمية سمك قليلة، بالإضافة إلى ذلك فإن السمك كانت رائحته كريهة للغاية».

---

(١) HENRY D, SPALDING, ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR, op.cit. p.32, 33.

ردَّ عليها بائع السمك قائلاً:

ـ «سيدتي.. يجب أن تكوني سعيدة، راضية، بما حصلت.. سوف أسألك سؤالاً منطقياً: هل إذا أعطيتك ضعف هذه الكمية مقابل المبلغ الذي دفعته، ألن تتضاعف رائحته العفنة؟!!»[1].

❁ ❁ ❁

ويولِّد داء الطمع وحب المال لدى اليهودي حالة من الاستغراق في الأحلام؛ حيث يحلم بالثراء ويخطِّط له ويتمنى تحقيقه، ولنقرأ معاً القصة الفكاهية التالي:

١٦ ـ منذ زمن بعيد كان هناك يهودي يدعى ساول، وكان ساول هذا رجلاً حالماً يحب الرحلات والمغامرات، دائم الترحال والتنقل. وذات يوم أخبره أحد الرحَّالة أن هناك بلاداً بعيدة لا تعرف البصل.. تعجب ساول!!! وفكر ملياً، ثم قال في نفسه:

ـ «كيف يكون مذاق الطعام بدون بصل؟!!! سوف أذهب إليهم وأقدِّم لهم البصل ليستخدموه، إنهم بلا شك سيجدون فيه متعة كبيرة؛ لأنه سوف يكسب طعامهم مذاقاً لذيذاً، وسوف أكسب أنا من وراء ذلك الكثير».

وبدون أي تأخير، سارع بشراء ما يملأ عربة كبيرة منه، ثم سافر إلى تلك البلاد، وكانت الرحلة طويلة جداً إذ استغرقت نحو شهرين. وبمجرد وصوله، ذهب مباشرة إلى القصر الملكي، وطلب مقابلة الإمبراطور، وقال له:

ـ «لقد أحضرت لسموكم نوعاً جديداً من الخضراوات له نكهة فريدة، وسوف يحسِّن من مذاق الطعام. فضلاً عن أنه في حد ذاته لذيذ جداً.. من فضلك، أرجو من فخامتكم أن تجربه بنفسك».

---

(١) HENRY D, SPALDING, ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR, op.cit. p.35.

قال له الملك:

ـ «حسناً، ولكن إذا ثبت أي ضرر من هذا الخضار، فإنني سوف أطيح برأسك على الفور».

ثم أمر الإمبراطور طاهي القصر أن يضيف البصل إلى ما يطبخه.. وفي المساء أقيمت مأدبة عشاء، دعا إليها الإمبراطور جميع وزراء الدولة، والنبلاء، وجمعاً كبيراً من حاشيته، ثم أمر ساول أن يتناول من الأطباق التي تحتوي على البصل أولاً، ثم يذوقها بعده العبيد والرقيق، وبعد ذلك يذوقها باقي الحاضرين، كل في دوره.. وأخيراً تذوَّقها الإمبراطور. كان رد الفعل لدى الجميع طيباً للغاية؛ فقد استحسنوا جميعاً طعم البصل جداً، لذلك قدم الإمبراطور لساول وزن عربة البصل ذهباً.

وعندما عاد ساول إلى بلدته، اجتمع حشد كبير من المواطنين ليهنئوه على حظه السعيد، وعلى الثروة التي حصل عليها. ظل ساول يحكي لهم على مدى ساعات عديدة عن رحلته، ويصف لهم الغنى والفخامة والأبهة التي تتسم بها تلك البلاد التي فيها الذهب أرخص من البصل.

انفعل بهذه الحكايات واحد من السامعين يدعى كولبونيك، وقرر أن يقوم برحلة إلى تلك البلاد، وفكر في شيء يجعل حظه أحسن من حظ ساول.. وقال في نفسه:

ـ «الثوم.. نعم الثوم، إن الثوم ليس فقط أكثر قيمة وفائدة من البصل، ولكنه أيضاً ذو رائحة قوية جداً.. لماذا لا أذهب إلى تلك البلاد، وأقدِّم للإمبراطور عدداً قليلاً من الجوالات المملوءة بالثوم؟ فإذا كانوا قد بدَّلوا جوالات البصل بجوالات من الذهب، فإنهم بالتأكيد سوف يبدلون جوالات الثوم بجوالات من الماس».

وفعلاً.. ملأ خمس جوالات من الثوم، وسافر إلى البلاد البعيدة، وكما حَدَث مع ساول نجح كولبونيك في إقناع الإمبراطور بفوائد الثوم

وأهميته، وألحَّ عليه أن يجربه.. حاز الثوم على إعجاب الجميع أكثر من البصل.

عقد الملك اجتماعاً مع مستشاريه ووزرائه لكي يكافئوا زائرهم على هديته الرائعة، ثم قرروا أن يكافئوه بأثمن شيء موجود في مملكتهم!!.. وعاد كولبونيك ومعه المكافأة.. إنها خمس جوالات من البصل!![1].

❁ ❁ ❁

وبسبب حب اليهودي للمال فقد أصبح له باع طويل، وشهرة كبيرة في إتقان تزييف العملات، وتزوير المستندات، حتى عرف في جميع أنحاء العالم بأنه خبير ومحنَّك في هذا المجال.. ولنقرأ بعض النماذج التي جاءت في الموسوعة بهذا الخصوص:

١٧ ـ اشتهر جاك بقدرته الفائقة على تزوير الأوراق المالية في بلدته القديمة، وعندما هاجر إلى أمريكا قرر أن يستمر في ممارسة نفس العمل. فأخذ ورقة من فئة الدولار، وقام بتزويرها بدقة فائقة، ولكنه غير الرقم (١) إلى (٩)، أي رفع قيمة الدولار إلا تسعة دولارات، وبكل ثقة، ذهب إلى صاحب متجر يدعى داق كي يشتري علبة سجائر.. قدم له الورقة المالية ذات التسعة دولارات، وكان داق نفسه مزوِّراً قديماً منذ ثلاثين عاماً، فأخذ الورقة، ونظر إليها، ثم ابتسم وأعطى جاك بعض القطع المعدنية التي تستخدم في التليفونات العامة، وورقتين ماليتين كل منهما بأربعة دولارات. وخرج المهاجر الجديد من المتجر وهو يهنئ نفسه على نجاحه في أول خدعة يقوم بها في هذه المدينة[2].

❁ ❁ ❁

١٨ ـ كان سيمون يمتلك عربة يجرها حصان، وذات مساء عاد إلى بيته مرهقاً للغاية، ولكنه كان سعيداً جداً.. وبعد أن تناول كوباً من الشاي

---

(١) HENRY D, SPALDING, ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR, op.cit. p.102, 103.

(٢) HENRY D, SPALDING, ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR, op.cit. p.79.

بالليمون، حكى لزوجته كيف استطاع أن يخدع واحداً من الغجر، ويشتري منه حصاناً ممتازاً في وقت مبكر من صباح اليوم، حيث قال لها:

ـ «لقد دفعتُ في الحصان عشرين دولاراً، بينما يساوي أكثر من خمسين دولاراً».

ـ «لقد أحسنت».

ـ «لا، بل أخطأت، فالحصان صغير جداً».

ـ «إذن فهو لن يستطيع أن يجر عربة محملة بأشياء ثقيلة، إنك فعلاً أخطأت».

ـ «لا، بل أحسنت... فبالرغم من صغر سن الحصان، إلا أنه قوي جداً، لكن المشكلة الوحيدة هي أنه أعرج».

ـ «ياه...، لقد أخطأتَ خطأً كبيراً جداً، إن الحصان الأعرج، لا يستطيع أن يعمل».

ـ «لا، لقد أحسنت، إن الغجري الغبي لم يلاحظ أنه كان يوجد مسمار صغير في قدم الحصان، فقمت أنا بنزعه، فلم يعد الحصان يعرج بعد».

ـ «عظيم، عظيم... إذاً أصبح لديك حصان قوي مقابل عشرين دولاراً فقط.. حقاً لقد أحسنت».

ـ «لا، إن هناك شيئاً سيئاً حدث، لقد أخطأت وأعطيته خمسين دولاراً».

ـ «يا ويلي، يا ويلي، لقد أخطأتَ خطأً جسيماً، إن ذلك شيء سيئ للغاية».

ـ «لا، بل أحسنت، لأن النقود التي أعطيته إياها كانت مزوَّرة»[1].

❁ ❁ ❁

(١) HENRY D, SPALDING, ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR, op.cit. p.78.

التطفُّل والشّحاذة

الشحَّاذون هم طائفة اشتهرت بحدَّة اللسان، وسرعة البديهة، واستخدام ذلك لكي يحصلوا على ما يبقيهم على قيد الحياة. والشحاذون اليهود يزيدون على ذلك بأنهم يتصفون بالصفاقة والبجاحة، والجرأة، والزائدة، وانعدام الكرامة، والإلحاح الشديد. ونرى ذلك من خلال الفكاهات التالية:

١٩ ـ تعود شحَّاذ على أن يعزم نفسه ويتردَّد على منزل تاجر ثري مساء كل يوم، بالضبط في ميعاد العشاء. وكان هذا التاجر عطوف القلب، لكن صبره نفد، وضاق بالرجل ضيقاً شديداً، ولكن كان من الصعب عليه أن يردَّ سائلاً على بابه.

وذات يوم.. كان الثري يقيم حفل عشاء لسيدة ذات مكانة خاصة عنده، فسمع طرق الباب، وعندما فتحه وجد ذلك الطفيلي أمامه، فقال له بأدب:

ـ «معذرة، فإنني الليلة أقيم مأدبة عشاء لسيدة مهمة».

فردَّ عليه الشحاذ الطفيلي بعصبية:

ـ «وما شأني بهذا.. أنا سوف أتناول طعامي في المطبخ».

ـ «إذن.. فقل لي هل تحب الدجاج البارد؟».

ـ «أه.. نعم بكل تأكيد أحبه جداً، بل وأفضِّله عن أي طعام آخر».

ـ «جميل جداً.. إذن فعد غداً، سيكون الدجاج قد أصبح بارداً، فهو ساخن جداً الآن»[١].

❁ ❁ ❁

٢٠ ـ اعتاد شحّاذ أن يطرق باب أحد الأثرياء مساء يوم الجمعة من كل أسبوع في نفس اللحظة التي يجلس فيها صاحب الدار إلى مائدة العشاء، وحدث ذات مساء أن جاء ذلك الشحّاذ الطفيلي وهو يصطحب شاباً غريباً، اندهش الثري، وقال له في غضب:

ـ «ما هذا؟ هل أصبحت الآن تدعو الآخرين على مائدتي؟».

ـ «لا.. أبداً.. هذا هو زوج ابنتي، وقد وعدته بوجبة مجانية بمناسبة العام الجديد.. هذا هو الأمر، لا أكثر ولا أقل»[٢].

❁ ❁ ❁

٢١ ـ دقَّ شحاذ باب أحد المنازل، وبمجرد أن رأته سيدة المنزل، صرخت فيه غاضبة، وهي تقول له:

ـ «اذهب بعيداً، إنك إنسان متطفِّل سيئ الخلق، حقير للغاية».

ـ «لماذا يا سيدتي، ماذا فعلت؟».

ـ «إنك تعلم جيداً ماذا فعلت.. ألم أعطك في الأسبوع الماضي أجود أصناف الطعام الذي طهوته بيدي، فإذا بك ترسل به إلى أصدقائك؟!!».

تنهد الشحاذ وهو يتذكر طعامها، ثم قال لها:

ـ «لا يا سيدتي، إنهم ليسوا أصدقائي، بل أعدائي»[٣].

❁ ❁ ❁

---

(١) HENRY D, SPALDING, ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR, op.cit. p.32.

(٢) HENRY D, SPALDING, ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR, op.cit. p.34.

(٣) HENRY D, SPALDING, ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR, op.cit. p.38.

٢٢ ـ ذات مساء.. مر مجموعة من طلاب اليشيفاه[١] ببيت أحد أساتذتهم الأغنياء، فوجدوا الباب مفتوحاً، فقرروا أن يفاجئوه بالزيارة.. دخلوا عليه ليجدوه يتناول وجبة العشاء، فقدمت لهم زوجته طعاماً كثيراً وفاخراً. وبعد العشاء.. شكره طلابه، وسأله واحد منهم قائلاً:

ـ «كم كنت كريماً معنا يا أستاذنا مع أننا جئناك على غَفْلة.. فماذا عن استقبالك لنا لو جئناك، وأنت تتوقع قدومنا؟!».

ردَّ عليه الأستاذ ببرود شديد:

ـ «يا عزيزي.. إذا كنت أتوقع قدومكم، لكنت أوصدت الباب بالمزاليج، وأغلقته بالضبة والمفتاح»[٢].

❁ ❁ ❁

٢٣ ـ يحكى أن أحد الأثرياء كان يحب تشيرنوف الشحاذ ويعطف عليه، وكان معتاداً أن يعطيه مبلغاً لا يقل عن خمسمائة روبل كل عام.

وفي أحد الأعوام أعطاه هذا الثري مائتين وخمسين روبلاً فقط، فسأله الشحاذ بوقاحة:

ـ «ماذا يعني هذا؟ إن ذلك المبلغ هو نصف ما تعوَّدتَ أن تعطيني إياه».

اعتذر الثري، وقال له:

ـ «أنا آسف جداً يا تشيرنوف.. إنني مضطر إلى أن أخفِّض نفقاتي هذا العام؛ لأن ابني تزوج من فنانة ممِّثلة، ويحتاج منه ذلك الكثير من المال».

---

(١) اليشيفا: كلمة عبرية تطلق على المعاهد الدينية اليهودية، وكان يدرس فيها حاخامات يهتمون بالتراث الديني اليهودي، وتفسير التوراة والتلمود، وكان طالب اليشيفا معزولاً تماماً عن أي نشاط في الحياة، فلا يشغل باله إلا بما هو يهودي فقط، ولا يعرف إلا ما يتصل بالدين اليهودي، والتاريخ اليهودي فقط.

(٢) HENRY D, SPALDING, ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR, op.cit. p.42.

ردَّ عليه تشيرنوف وهو يصرخ من الغضب، كمن فقد عقله!

ـ «حسناً.. إذا كان ابنك قد قرر الزواج من فنانة ممثلة.. فهذا شأنه، وتلك مسؤوليته، ولكن كيف يجرؤ أن ينفق عليها من مالي الخاص؟!»[١].

❁ ❁ ❁

٢٤ ـ يحكى أنه كان هناك أحد الشحَّاذين يُدعى آرون لابوفتش، صمَّم على أن يحصل من البارون روتشيلد على مبلغ كبير من المال.. لكن الخدم كانوا يلقون به إلى الخارج في كل مرة كان يحاول فيها أن يقترب من مدخل رجل البنوك الثري.

وذات مرة.. اقتحم الشحاذ المنزل، ودخله دون أن يطرق على الباب، ثم دفع الخدم بوقاحة، وأخذ يصيح بأعلى صوته، وينادي على البارون الذي نزل إلى الطابق الأسفل وهو يضع يده على أذنيه كي لا يسمع الصياح. وعندما رآه الشحاذ، أخذ يتذلل له، وهو يقول:

ـ «زوجتي وأولادي سيموتون جوعاً يا سيدي، إننا لم نذق الطعام منذ ثلاثة أيام.. وليعاقبني الرب إذا كنت قد نطقت بكلمة واحدة كاذبة».

قال له روتشيلد بضيق:

ـ «وهو كذلك.. سوف أساعدك بعشرين طالر[٢]، ولو كنت أكثر هدوءاً وأدباً، لكنت دفعت لك ضعف هذا المبلغ».

ردَّ عليه الشحاذ قائلاً:

ـ «سيدي اللورد روتشيلد.. صحيح أنت رجل مال وبنوك، لكن دَعْني أقدم لك نصيحة مالية بحتة، إنني شحاذ محترف، لذلك لا تقدِّم لي أية نصيحة في مجال عملي، إنني أتقنه تماماً!!!»[٣].

❁ ❁ ❁

---

(١) HENRY D, SPALDING, ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR, op.cit. p.29.

(٢) طالر: اسم عملة نقدية جرمانية فضية، وقد توالى إصدارها من القرن ١٥ حتى القرن ١٩.

(٣) HENRY D, SPALDING, ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR, op.cit. p.31.

٢٥ ـ كان هناك شقيقان عاطلان، أحدهما يُدعى جانسيه، والآخر يُدعى ميشبوشيه.. تعود الشقيقان أن يترددا مرة كل شهر على مؤسسة البارون روتشيلد كي يتسلَّما منها مساعدة تقدَّر بمائة مارك لكل منهما. ثم حدث أن توفي جانسيه، فذهب ميشبوشيه ليتسلَّم المساعدة الشهرية. فأعطاه موظف الخزينة مائة مارك المقررة له، فصاح فيه قائلاً:

ـ «ما هذا؟!!! أين المبلغ المخصص لأخي؟!!!».

ـ «إن أخاك قد توفي، وتم إلغاء المائة مارك الخاصة به».

ـ «ماذا تعني بإلغائها؟! إذا كان أخي أنا هو الذي توفي، فمن إذن يكون الوريث، أنا أم روتشيلد؟»[١].

❁ ❁ ❁

٢٦ ـ استيقظ مدير بنك في الساعة السادسة صباحاً على صوت طرق شديد على باب منزله، فنهض مذعوراً جارياً نحو الباب يفتحه، معتقداً أن هناك أمراً طارئاً، وفي غاية الخطورة قد دفع الطارق حتماً للطرق على الباب بهذه الشدة، في مثل هذه الساعة المبكِّرة. وعندما فتح الباب، وجد أمامه شحّاذاً يطلب صدقة، فصرخ فيه مدير البنك قائلاً.

ـ «ما هذه الصفاقة والوقاحة أيها الرجل؟! كيف تطرق الباب علينا الآن؟! ألم تدرك أن هذا الوقت مبكر جداً».

ـ «سيدي.. أنا لم أتدخل في أمور عملك، وأقول لك متى يجب أن تذهب إلى البنك، لذلك يجدر بك ألا تقترح علي متى يجب أن أبدأ عملي، أليس كذلك؟!»[٢].

❁ ❁ ❁

واليهودي معروف منذ قديم الزمان أنه يكره العمل اليدوي الشاق،

---

(١) HENRY D, SPALDING, ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR, op.cit. p.13.

(٢) HENRY D, SPALDING, ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR, op.cit. p.35.

ويرفض بذلك الجهد الجسماني بصفة عامة، ويفضِّل أن يعمل بعقله لا بعضله[١]. وأذكر هنا اعتراف الفيلسوف الصهيوني آرون دافيد جوردون، حيث قال: «إنه خلال ألفي السنة الأخيرة، كان الشعب اليهودي معزولاً عن الطبيعة، لقد تعوَّد على كل أشكال الحياة ما عدا حياة العمل»[٢]. ونستطيع أن نكشف عن هذا الاتجاه من بين داكنات السطور التالية:

٢٧ ـ كان هناك شحَّاذ يدعى لوميتسكي يعيش في براغ، وكان لوميتسكي هذا رجلاً قوياً عريض المنكبين. وذات يوم ذهب إلى أحد الأثرياء يسأله صدقة، فنهره، وقال له بازدراء وغضب:

ـ «أأعطيك أنت صدقة!! يا للعجب!! رجل مثلك عريض المنكبين، له جسد قوي مثل شمشون الجبار لا يعمل، ويطلب صدقة».

ـ «هل لا بدَّ أن أقطعهما من أجل القرش الحقير الذي ستمنحني إياه؟!»[٣].

❁ ❁ ❁

٢٨ ـ كان هناك شحَّاذ لم يعمل قط طيلة حياته، ولا ينوي أن يعمل.. وقف ذات يوم بباب فلاح فقير وسأله أن يستضيفه لليلة واحدة. رحب به الفلاح، وقدَّم له عشاء ساخناً وفراشاً مريحاً.. وفي اليوم التالي سأل مضيفه أن يقضي يوماً آخر، ووعده أن يرحل في الغد. قبل الفلاح على مَضَض، واستمر الشحاذ كل يوم يختلق الأعذار كي يبقى. وفي اليوم الخامس لم تجد زوجة الفلاح ما تقدمه للشحاذ غير لقمة خبز جافة وكوباً من الشاي، وهنا صاح الشحاذ غاضباً:

ـ «أي طعام هذا الذي تقدِّمونه إلي، أتريدون أن أموت من الجوع عندكم؟».

---

(١) حمدان. جمال (د)، اليهود أنثربولوجيا، دار الكتاب العربي، القاهرة، سنة ١٩٦٧، ص٤٨.

(٢) FORD HENRY II. THE INTERNATIONAL JEW.P.96.

(٣) HENRY D, SPALDING, ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR, op.cit. p.35.

ـ «آسف جداً.. حقيقة آسف، فلم يعد لدينا شيء بعد».

ـ «إذن، سوف أغادر منزلكم في الصباح».

وفي الصباح.. حاول الفلاح إيقاظ الشحاذ في رقة وأدب قائلاً:

ـ «لقد أذن الديك للصباح».

ـ «ماذا تقول.. هل ما زال عندكم ديك؟ أرجوك أن تسمح لي بالإقامة عندك يوماً واحداً آخر»[1].

❁ ❁ ❁

(١) HENRY D, SPALDING, ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR, op.cit. p.35.

تعظيم قانون التعويضات

تعتبر عملية تكريس التعويضات عن الخسائر أمراً أساسياً في الطبع اليهودي؛ فهم يستثمرون المصائب أيما استثمار، ودَرَجوا منذ وقت مبكر على بذل الجهود في إفحام الآخرين وإقناعهم بضرورة دفع تعويضات عن إصابتهم بأية أضرار، بل ولهم القدرة على التهويل منها، تارة عن طريق الخداع والاحتيال، وتارة أخرى بالذلّة والمَسْكنة. ويتضح ذلك جلياً من خلال الفكاهات الآتية:

٢٩ ـ صدمت سيارة يهودياً، وهو يعبر الطريق بينما كانت الإشارة خضراء. فادَّعى أنه أصيب إصابة خطيرة أدَّت إلى الشلل التام، وأقام دعوى على السائق يقاضيه فيها، فدفعت له شركة التأمين تعويضاً قدره خمسين ألف دولاراً، ثم عاد إلى منزله في سيارة إسعاف وهو سعيد جداً بقيمة التعويض، وأخذ يصيح:

ـ «لقد كسبنا.. لقد أصبحنا أغنياء».

قالت له زوجته:

ـ «إن شركة التأمين سوف تتأكد من أنك أصبت بالشلل فعلاً، ومن المتوقع أن تراقبك بشدة». ثم حذرته قائلةً:

ـ «إن القاضي قال: إنه إذا ثبت أنك تخطو على الأرض خطوة واحدة، فإنه سيحاكمك، ويقاضيك؛ لأنك ستكون قد حلفت يميناً كاذباً، وأنك بذلك تكون مخادعاً محتالاً».

ردَّ اليهودي على زوجته قائلاً:

ـ «روثي.. لا تقلقي هكذا، إنني أعرف ما سأفعله بالضبط.. أولاً، سوف أستدعي سيارة الإسعاف لتنقلنا إلى المطار، وبعدها سوف يحملني المرافقون إلى الطائرة التي ترحل إلى أوربا».

ـ «أوربا!! ماذا تفعل في أوربا؟».

ـ «هناك ستحدث المعجزة».

ـ «أية معجزة هذه؟».

ـ «سيتغير كل شيء.. وسأصبح كاثوليكياً ثرياً»[1].

❁ ❁ ❁

٣٠ ـ لم يكن نظام التأمين على الأشياء والممتلكات معروفاً في المجتمعات اليهودية الصغيرة في روسيا القيصرية. وعندما كان رجل فقير يفقد منزله بسبب حريق، كان الحاخام المسؤول عن المنطقة يعطيه وثيقة تفيد حاجته إلى إعانة لكي يعيد بناء بيته.

وذات يوم ـ وكما يحدث في حرائق شيكاغو ـ بينما كانت السيدة شيرنوفتس تحلب بقرتها في المساء. فجأة.. رفست البقرة المصباح، وفي الحال اشتعل حريق ضخم في القرية التهم عشرات البيوت.

في صباح اليوم التالي، عقد حاخام القرية اجتماعاً حضره كبار المستشارين اليهود الذين وافقوا أن يفتحوا صندوق الإعانات على الفور لكي يساعدوا المتضررين من الحريق، ويصرفوا لهم الوثيقة ليعيدوا بناء بيوتهم. لكن واحداً ممن أصيب منزله بإصابات طفيفة للغاية وقف بين المتضررين يطلب المساعدة. فسأله الحاخام وهو متجهم الوجه:

ـ «ماذا تفعل هنا أيها الرجل.. إنني لم أعطك وثيقة تفيد أنك من

(١) HENRY D, SPALDING, ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR, op.cit. p.82.

المتضررين، هل تريد أن تقول لي أنك عانيت مثلهم، وأنك تعتبر من ضحايا الحريق».

قال الرجل وهو يئن ويتأوه:

- «آه.. نعم يا سيدي، إنني أعاني بالفعل، لقد أصابني ضرر كبير وأريد تعويضاً.. إن الله يشهد أنني فقدت صوابي من الخوف، وظللت أرتعد طوال الوقت»[1].

❁ ❁ ❁

٣١ - يحكى أن اثنين من اليهود كانا يشاهدان العاملين في مناجم الذهب التي يملكها سيدنا سليمان، فقال الأول:

- «ما أعظم حكمة النبي سليمان حين يعوِّض عماله إذا ما فقدوا أياً من أطرافهم».

- «لكن الحكمة يجب أن ترتبط بالرحمة، وليس هناك حكمة على وجه الأرض تقارن بحكمة الرب».

- «لم أفهم ما تقول».

- «انظر ما يفعل الرب.. إنه يعوض الشخص الأعور بعين أخرى سليمة أقوى، وإذا ما فقد رجل قدرة السمع بأحدى أذنيه، جعل الرب الأذن الأخرى قادرة على التقاط دبيب النمل».

- «هذا صحيح».

- «وأكثر من ذلك إذا كان هناك شخص لديه ساق قصيرة، فإن الرب يجعل الساق الآخر أطول منها تعويضاً لصاحبها!!»[2].

❁ ❁ ❁

(١) HENRY D, SPALDING, ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR, op.cit. p.16.

(٢) HENRY D, SPALDING, ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR, op.cit. p.24.

السرقة واللصوصية

عبر التاريخ الإنساني، عرف عن اليهودي أنه لص أصيل، وأنه يتخذ من الخداع والنصب والاحتيال وسائل لتحقيق هدفه، وإن هذا الطبع موجود حتى في رجال الدين منهم.. والفكاهات التالية تؤكد ذلك:

٣٢ ـ أحنىَ رجل يهودي رأسه في صلاة حارة قائلاً:

ـ «شكراً لك يا رب، لأنك جعلت رجال البوليس في منتهى اليقظة، ومكنتهم من أن يلقوا القبض على كبار اللصوص والنشالين ويعاقبوهم بالسجن، فإذا لم يفعلوا ذلك لكانت مهنتي قد اكتظت بأهلها، ولم يستطع لص صغير وفقير مثلي أن يمارس عمله، ويتكسب رزقه»[١].

❁ ❁ ❁

٣٣ ـ حكم القاضي بالسجن لمدة سنتين على اللص جاكوب رابادورت لأنه سرق منزلاً في منتصف الليل.. فوقف جاكوب يعترض على الحكم قائلاً:

ـ «يا سيدي القاضي في المرة السابقة حكمتَ عليَّ بالسجن عاماً لأنني سرقت منزلاً في منتصف النهار، فقل لي بالله عليك بالضبط.. متى يمكنني أن أمارس عملي لأتكسب رزقي؟»[٢].

❁ ❁ ❁

٣٤ ـ تلَّقى حاخام هدية عبارة عن قبعة من الفِراء، ولكن سرعان ما

---

(١) HENRY D, SPALDING, ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR, op.cit. p.77.

(٢) HENRY D, SPALDING, ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR, op.cit. p.75.

سُرقت منه.. قال الحاخام في نفسه: هناك طريقة واحدة يمكن أن توصلني إلى من قام بهذه الجريمة، ثم بعث إلى لوي ملك اللصوص في المدينة، وقال له:

- «لقد سُرقت مني قبعة من الفِراء.. هل تستطيع أن تعيدها إلي؟».

- «نعم، ولكن ذلك يتوقف على شيء هام».

- «يتوقف على شيء!! ما هو؟»

- «يتوقف على الفاعل.. إذا كان أحد من أتباعي هو الذي سرقها، فكن على ثقة، وتأكد تماماً من أنني سوف أستطيع أن أعيدها إليك.. ولكن إذا كان أحد أتباعك هو الذي سرقها، حينئذ، عليك يا سيدي أن تنسَى تماماً أن قبعة من الفراء قد أُهديت إليك!!»[1].

❁ ❁ ❁

٣٥ - التقى طالبان يدرسان التلمود.. وقال أحدهما للآخر:

- «إنني خائف جداً، لقد ارتكبت خطيئة فظيعة».

- «ياه.. ماذا فعلت؟!».

- «لقد سرقت علبة شموع من المعبد».

- «آه.. إنها فعلاً خطيئة تستحق أن تكفِّر عنها».

- «نعم، ولكن كيف؟!».

- «أنا أعرف إحدى الطرق.. من الممكن أن تقدِّم خمس زجاجات من النبيذ الفاخر للمعبد كهدية منك».

- «خمس زجاجات من النبيذ الفاخر!! هل فقدت عقلك؟! أنت تعرف أنني لا أملك مليماً، فكيف أستطيع أن أحصل على هذا النبيذ؟!».

- «بنفس الطريق التي حصلت بها على علبة الشموع»[2].

❁ ❁ ❁

---

(١) HENRY D, SPALDING, ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR, op.cit. p.78.

(٢) HENRY D, SPALDING, ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR, op.cit. p.79.

٣٦ ـ لمح اللّصان بوريس وإيفان صاحب عربة كارو وهو يربط حصاناً في العربة، ثم تركها في الشارع، ودخل هو إلى إحدى الحانات. فقال أحدهما للآخر:

ـ «ما أجمل هذا الحصان.. إنه صغير وقوي».

ـ «هيا نسرقه».

ـ «إن هذه المخاطرة قد تكلفنا عشر سنوات في السجن».

ـ «عندي فكرة.. تعالَ نفك رباط الحصان من العربة، ثم تركبه أنت وتقوده بأسرع ما يمكن إلى خارج المدينة حتى تصل به عند مخبئنا، أما أنا فسوف أربط نفسي مكان الحصان».

وبالفعل تمَّ ذلك بسرعة، وعندما خرج صاحب العربة من الحانة، رأى إنساناً مربوطاً في العربة مكان الحصان.. صعق، وأخذ يصرخ وهو يقول:

ـ «ما الذي حدث لحصاني.. من أنت؟ وماذا تفعل عنا؟!».

أجابه بوريس:

ـ «أنا حصانك، فقد حدث أنه منذ عدة سنوات، عندما كنت شاباً صغيراً، ارتكبت آثاماً كثيرة، وكنت أرافق النساء الساقطات، لذلك عاقبني الله ومسخني حصاناً منذ ثمانية عشر عاماً، ومدة عقوبتي قد انتهت منذ دقائق قليلة، والآن رجعتُ إلى طبيعتي كإنسان مرة أخرى».

ـ «ياه.. كم أنا آسف لك حقاً يا عزيزي، إنني أكاد أبكي كلما تذكرت أنني كنت أعاملك معاملة قاسية، إذ كنت أتركك واقفاً خارج البيت في البرد والمطر، وحمَّلتك فوق طاقتك، ولم أطعمك كما ينبغي في بعض الأوقات.. قل لي يا عزيزي بالله عليك: كيف يمكنني أن أعوضك عما فعلته بك».

ـ «حسناً.. إنني سوف أحتاج بعض المال لكي أبدأ حياتي من جديد كإنسان».

ـ «ها هي خمسون روبلاً، واذهب إلى طريقك، وابتعد عن مجالسة

الفتيات الداعرات، ولا تعد إلى السلوك الشائن مرة أخرى».

وبعد أيام ذهب العربجي إلى السوق كي يشتري حصاناً آخر لعربته، ففوجئ بحصانه القديم معروضاً للبيع، فاندفع نحوه، ولف ذراعه حول رقبة الحصان يحتضنه وهو يقول له:

- «هل سخطك الله حيواناً مرة أخرى، ألم أحذرك ألاَّ ترجع إلى السلوك الشائن وأن تبتعد عن النساء الداعرات؟»[1].

❁ ❁ ❁

٣٧ - دخل رجل متجراً وطلب رباط عنق، وبعد أن اختار واحداً، وقام البائع بلفِّه، قال له الرجل:

- «لقد غيَّرت رأيي، إنني محتاج أكثر إلى زوج من الجوارب بدلاً منه».

- «وهو كذلك».

اختار الزبون زوج الجوارب ولفَّه البائع، وأعطاه إياه، فأخذ اليهودي اللفافة، واتجه نحو الباب، فقال له البائع:

- «سيدي، أنت لم تدفع ثمن الجوارب».

- «على أي شيء تتحدَّث، إنني فقط بدلته برباط العنق».

- «نعم، ولكنك لم تدفع ثمن رباط العنق».

- «ولماذا أدفع ثمنه؟ هل أنا أخذته؟!»[2].

---

(١) HENRY D, SPALDING, ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR, op.cit. p.76, 77.

(٢) HENRY D, SPALDING, ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR, op.cit. p.80.

الحسد والحقد

من عادة اليهودي ألا يقنع بما كتبه الله له من رزق في الحياة، ولذلك فهو ينفث السخط وزفرات الحقد على الأغنياء، ويتحسَّر الفقير منهم على حاله، ويحسد الأثرياء على نعمة الله عليهم. ولنتأمل معاً النكات التالية التي تكشف عن حقد اليهود:

٣٨ ـ كان هناك يهوديان يعانيان من الفقر الشديد يسكنان في منطقة الإلزاس واللورين.. جلسا يتحدثان عن الحياة الراغدة التي يحياها اليهود الأغنياء، وتساءل أحدهما قائلاً:

ـ «هل تعلم أن هيرمان الجواهرجي يرتدي قميصاً نظيفاً لونه أبيض كل يوم سبت[1] قبل أن يذهب إلى المعبد اليهودي؟!»

وقال الثاني:

ـ «ليس في هذا شيء.. إن المقاول ميللر يرتدي قميصاً نظيفاً لونه أبيض مرتين في الأسبوع».

ـ «وماذا عن الإمبراطور؟».

---

(١) يوم السبت: هو العيد الأسبوعي عند اليهود، وهو يوم راحة يحرم الله عليهم القيام بأي عمل أو نشاط دنيوي، ولا يجوز انتهاك حرمته، أو الانشغال فيه عن ذكر الله، وليوم السبت طقوس خاصة عند اليهود؛ حيث يقيمون شعائر معينة، سواء في المعبد أو في المنزل. (لمزيد من التفاصيل انظر: ظاظا. حسن(د) الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه ص.... دار القلم دمشق).

ـ «سمعنا أن الإمبراطور يغير قميصاً كل يوم».

ـ تنهَّد الآخر وهو يقول:

ـ «إذا كان هذا يغيِّر قميصاً كل يوم.. فماذا عن المليونير البارون روتشيلد أغنى رجل في العالم؟».

ـ «آه، روتشيلد!! إنه لا يمكن مقارنته بأحد حتى الإمبراطور نفسه. إن روتشيلد يرتدي قميصاً، وفي الحال يخلعه، ثم يرتدي آخر ثم يخلعه، ويرتدي قميصاً آخر، ثم آخر، طوال النهار والليل، يلبس ثم يخلع، يلبس ثم يخلع، يلبس ثم يخلع...»[1].

❁ ❁ ❁

٣٩ ـ ذهب شحَّاذ إلى بيت أحد الأثرياء، فعلم من مدير المنزل أنه ذهب للاستشفاء في حمامات كبريتية في خارج البلاد، تنهَّد الشحاذ بحسرة، ثم صاح قائلاً:

ـ «حمامات كبريتية!! كيف يجرؤ سيدك على الذهاب إلى العيون الكبريتية التي تكلف أموالاً طائلة على حسابي أنا الفقير الذي لا يجد طعام اليوم»[2].

❁ ❁ ❁

(١) HENRY D, SPALDING, ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR, op.cit. p.12.

(٢) HENRY D, SPALDING, ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR, op.cit. p.34.

الرِّشْوة

عرف عن اليهود تعاملهم بالرِّشْوة منذ قديم الأزل، فتاريخ اليهود مليء بحوادث الرشوة التي كانوا يقدِّمونها إلى الحكام والمسؤولين في البلاد التي كانوا يعيشون فيها كي يحصلوا على حقوقهم وحقوق الآخرين أيضاً، أو ليسهِّلوا لهم تزوير أوراق خاصة بهم، أو مقابل حمايتهم[١]. ويذكر سيسيل روث أن اليهود كانوا يقدِّمون الهدايا والرشاوى إلى بابا روما كل عام جديد مقابل منحهم الحماية[٢]، ولنقرأ معاً النادرة التالية لتعبر لنا عن هذا السلوك:

٤٠ ـ كانت السلطات في روسيا القيصرية ترسل عيونها لكي تراقب اليهود، وحدث أن تعرَّف يهود إحدى المدن الروسية الصغيرة على المخبر السرِّي الروسي، ولكي يؤمِّنوا أنفسهم، كان عليهم أن يقدموا له الرشاوَى قبل كل اجتماع يعقدونه حتى لا يقدِّم تقريراً عن أعمالهم، وأخبارهم، وشؤونهم الحياتية.

وذات يوم كان لا بدَّ أن يعقد اليهود اجتماعاً في غاية الأهمية، فطلب المخبر السرِّي الروسي ثلاثمائة روبل مقابل صمته عما يدور في هذا الاجتماع. وكان هذا المبلغ كبيراً، لذلك سألوا الحاخام أن يفعل شيئاً ما حيال طمع وجشع هذا المخبر.

---

(١) لمزيد من التفاصيل: انظر: صبري. سناء عبد اللطيف، الجيتو اليهودي، م. س. ذ، ص١١٣: ١١٥.

(٢) ROTH. CECIL, HISTOIRE DU PEUPLE JUIF, IMPRIMÉ EN FRANCE. EDITIONS STOCK. 1980. P.10.

وكان هذا الحاخام معروفاً بحكمته ورجاحة عقله، لذلك قرر أن يضع حداً لمثل هذه المشكلة الآن وإلى الأبد.. فاستدعى الجاسوس إلى بيته، وتشابك الاثنان، فزمجر المخبر وقال:

- «أنا مصمِّم على ثلاثمائة روبل.. هذا وإلا فإنني سوف أتكلم».

- صرخ فيه الحاخام، وقد استشاط غضباً، وقال له:

- «إنك شخص حقير تافه مثل الخنزير الشره القذر.. إنني أعرض عليك خمسين روبلاً لا غير، وأؤكد أنك إذا لم توافق على هذا المبلغ، فإننا سوف نجد مخبراً آخر يتجسس علينا يقبل خمسة وعشرين روبلاً فقط»[1].

(١) HENRY D, SPALDING, ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR, op.cit. p.50.

الكذب والنفاق والرياء والمبالغة

اليهودي شخص ماهر في رذيلة الكذب بصورة مدهشة، ولم يسبق له مثيل، لدرجة أنه يعتقد في كذبه، ويصدِّق الباطل والمستحيل، ويتعامَى عن الحقيقة. وهناك إجماع من شعوب العالم التي تعاملت مع اليهودي على أنه يكذب مثلما يتنفَّس الهواء. وها هي ذي شواهد من النكات اليهودية التي تدلل على ذلك:

٤١ ـ التقت زوجتان صديقتان، ودار بينهما الحوار التالي:

قالت السيدة كلين:

ـ «هل تستطيعين أن تعرفي إذا كان زوجك يكذب أم لا بمجرد أن تتطلَّعي إلى وجهه؟».

ردَّت عليها السيدة جروس:

ـ «ليس هناك أية مشكلة في ذلك على الإطلاق، يا مدام كلين، فبمجرد أن يحرك زوجي شفتيه كي يتكلم، أعرف أنه سوف يكذب»[1].

❁ ❁ ❁

٤٢ ـ جاء رجل في ملابس فقيرة، وقال للبارون روتشيلد، المحسن الكبير:

ـ «إنني لست شحاذاً، ففي الحقيقة أنا موسيقار، بل ومن أحسن الموسيقيين، لقد عزفت لمدة تزيد عن عشر سنوات ضمن فرقة فيينا الأوركسترالية، ولكن عندما أنهت الفرقة عملها، لم أجد عملاً. صدِّقني أيها

(١) HENRY D, SPALDING, ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR, op.cit. p.70.

البارون العظيم، منذ ذلك الوقت وأنا لا أملك شيئاً سوى سوء الحظ».

سأله البارون بعطف:

ـ «على أي الآلات تجيد العزف».

ـ «على آلة الباسون».

ـ «ياه.. حقيقي؟! هذه أفضل الآلات عندي، ويوجد لدي آلة من هذا النوع.. اسمع يا رجل، إنني قررت أن أقدِّم لك مساعدة، ولكن هيا بنا أولاً ندخل قاعة الموسيقى كي تعزف لي شيئاً على آلة الباسون».

بهت الشحاذ، ووضع يديه على وجهه، ثم قال:

ـ «آه يا سيدي.. معذرة، ألم أقل لك أنني سيئ الحظ للغاية، إن آلة الباسون هي الآلة الوحيدة التي لا أجيد العزف عليها»[1].

❁ ❁ ❁

٤٣ ـ عاش يهودي حياة كلّها فساد وفسوق، وفي النهاية تاب وندم وأسف على ما فعل، وتاقت نفسه إلى السير في طريق الله. فذهب إلى الحاخام ليعترف له بخطاياه ويتوسَّل إليه كي يغفر له ويساعده على التوبة، ولكنه خجل من نفسه أن يعترف بكل خطاياه السابقة حتى للحاخام، ولذلك ادعى أنه جاء نيابة عن صديق.

وكان الحاخام هذا محنَّكاً، وله خبرة في مثل هذه الخِدَع، وعلى الفور اكتشف كذب الشاب، فوضع الحاخام يده على كتف الشاب، ثم ابتسم، وقال له:

ـ «إن الأمر بسيط للغاية يا بني، لماذا لم يأت صديقك شخصياً إلى هنا، ويقول لي: إنه مرسل من قبل صديق له»[2].

❁ ❁ ❁

(١) HENRY D, SPALDING, ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR, op.cit. p.31.

(٢) HENRY D, SPALDING, ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR, op.cit. p.87.

٤٤ ـ قال الحاخام جولدن لطلابه:

ـ «في المحاضرة الأولى لهذا الفصل الدراسي، سوف أحدثكم عن موضوع الكذب.. الآن أريد أن أسألكم سؤالاً: من منكم قرأ الفصل الخامس والعشرين من الكتاب الذي كنا ندرسه العام الماضي؟ من فضلكم من قرأة يرفع يده».

رفع جميع الطلاب أيديهم ما عدا طالبين فقط، فقال الحاخام:

ـ «حسناً جداً!! أرى أنكم درستم الموضوع الأول جيداً.. إن الكتاب الذي كنا ندرسه ليس به فصل يحمل رقم خمسة وعشرين!![1].

❁ ❁ ❁

٤٥ ـ عيِّن يهودي في منصب جديد كمسؤول عن العدالة، وأراد أن يتعرَّف على طبيعة عمله في أقصر وقت ممكن، لذلك قرر أن يتفقد الأمور بنفسه، ففي أول يوم له في عمله قام بزيارة أحد السجون، وراح يسأل كل واحد من المساجين عن سبب وجوده وراء القضبان.

قال المسجون الأول:

ـ «أنا مظلوم.. لم أرتكب أي خطأ».

وقال المسجون الثاني:

ـ «إنما هو تشابه أسماء الذي جاء بي إلى هنا».

وقال ثالث:

ـ «أنا ضحية شبهات».

وهكذا مضى كل واحد من المسجونين ـ كل في دوره ـ يعلن عن براءته من التهمة التي وضع من أجلها في السجن، حتى وصل إلى المذنب الأخير الذي قال له:

ـ «اسمي إيزيدور فاين، أنا فعلاً استحق العقوبة التي حكم بها علي لأني سرقت شمعداناً فضيًا ثميناً من المعبد». هنا صاح الرجل:

---

(١) HENRY D, SPALDING, ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR, op.cit. p.97.

- «ماذا تقول؟! يا حرس، أطلقوا سراح هذا السجين، ألقوا به خارج السجن حالاً، إذ لا يمكن أن يبقى هذا اللص المجرم بين هؤلاء الرجال الأبرياء، حتى لا يتعلّموا منه اللصوصية»[١].

❁ ❁ ❁

٤٦ - كان أحد الشمّاسين[٢] يعتز بأنه يمتلك ساعة يمكن أن يعتمد عليها في أي مكان على وجه الأرض.. وكان يقول:

- «إن ساعتي لا يهمها كم تكون الساعة.. فقد تكون الساعة الرابعة في موسكو، والثالثة في وارسو، والثانية في برلين، لكن ساعتي ثابتة على حالها.. فهي تشير دائماً إلى الساعة السابعة والنصف تماماً»[٣].

❁ ❁ ❁

٤٧ - ذهب فلاح يهودي فقير إلى جاره كي يستعير منه حماره، فقال له الفلاح الغني:

- «إن حماري يعمل الآن في الحقل».

وفي هذه اللحظة سمع صوت الحمار ينهق من داخل البيت، فقال له الفلاح الفقير:

- «إن عذرك لم يكن في محله.. لقد أحرجك حمارك بنهيقه هذا».

سأله الفلاح الغني ببجاحة:

- «هل تكذبني يا رجل؟!!! من الذي يجب أن تصدِّقه، أنا أم حمار ينهق؟!!»[٤].

❁ ❁ ❁

---

(١) HENRY D, SPALDING, ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR, op.cit. p.79.

(٢) الشمّاس: كلمة عبرية تعني خادم المعبد اليهودي، الذي يقوم بنظافته، وحراسته، وإيقاد الشموع في عيد الحانوكة. (إيفن شوشان، أفراهام، هملون هعفري همروكاز، «القاموس العبري المركز»، دار نشر «كريات سيفر»، أورشاليم «القدس»، سنة ١٩٦٢، ص٧٢٨).

(٣) HENRY D, SPALDING, ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR, op.cit. p.68.

(٤) HENRY D, SPALDING, ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR, op.cit. p.69.

ويعتبر اليهودي من أبرع شعوب الأرض في القدرة على النفاق والرياء؛ فاليهودي إنسان مزدوج الشخصية، وذو وجهين، بل ذو لسانين أيضاً، فهو في المواجهة ماهر في المدح والثناء، وفي الغيبة بارع في الذم والتجريح. ولنقرأ ما يلي:

٤٨ ـ استدعى حاخام من أوديسا الحزان[١] وأنبه قائلاً:

ـ «حقاً.. إنك يجب أن تخجل من نفسك».

استعجب الرجل وسأله:

ـ «لماذا يا سيدي.. ماذا فعلت لكي أخجل منه».

ـ «إنك أنت لم تفعل شيئاً، ولكن أولادك هم الذين فعلوا.. إنهم يطاردون عبيط القرية، ويسخرون منه، وهذه خطيئة كبرى، ويجب عليك أن توقفها فوراً».

دافع عنهم الرجل قائلاً:

ـ «ولكنهم لا يطاردونه بسبب حالته العقلية، ولكن فقط لأنه جامع قمامة، ورائحته فظيعة جداً، وكريهة للغاية.. وأنا أؤكد لك يا سيدي أنك لو قمت أنت بهذه المهمة، لما ضايقك أولادي، بل سوف يقدِّمون لك ما أنت جدير به من احترام»[٢].

❁ ❁ ❁

٤٩ ـ قالت الجدة براين باستغراب تشكو جارتها:

ـ «لقد أهانتني جارتي إهانة كبيرة؛ إذ قالت لي: إني عجوز غبية».

---

(١) حزان: كلمة عبرية تطلق على المصلّي على رأس جماعة اليهود، أو إمام المصلين، وهو قائد جوقة الإنشاد أو المرتّل بالعبرية في الصلوات اليهودية، والحزّان، يعتبر من الشخصيات الهامة في المعبد اليهدوي، ويجب أن تتوافر فيه شروط معينة؛ أهمها إجادة اللغة العبرية، وحفظ التراتيل الدينية التي تتلى في الصلوات والمناسبات الدينية المختلفة. (إيفن شوشان، م. س. ذ. ص٢١٠).

(٢) HENRY D, SPALDING, ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR, op.cit. p.4.

فقالت لها أختها سبريز:

ـ «لا تضيقي ذرعاً بما قالته، فنحن نعرف تماماً أنها امرأة كذَّابة، وأنك لا يمكن أن تكوني قد تجازوت الرابعة عشرة بعد!!».

❁ ❁ ❁

٥٠ ـ التقى الغريبان اليهوديان سوكولوف وهيرشكوفتش في قطار، وهما في طريقهما إلى مدينة كاترينوسلاف. وفي الحال أخذا يتبادلان الحديث معاً، سأل سوكولوف:

ـ «هل تعرف رجلاً اسمه لوبتسكي يعيش في مدينة كاترينوسلاف».

ـ «لوبتسكي البقال؟ نعم أعرفه كما أعرف نفسي».

ـ «أي نوع من الناس هو؟».

ـ «إن طباعه سيئة للغاية، فهو حاد المزاج مثل العترة العجوز، عصبي، كاذب، مخادع، غشاش وغير أمين... صدقني، إن كل الموازين التي في متجره غير مضبوطة على الإطلاق، فهي تضاعف من وزن السلع التي يبيعها... إن زوجته مسكينة للغاية؛ إنه يضربها ليلاً ونهاراً.. إنه لا يحترم الحاخام ولا يقدره، لقد عرفت أيضاً أنه يأكل في يوم صيامنا في يوم كيبور»[١].

ـ «ولكن كيف تأكدت من أنه يتسم بكل هذه الصفات الكريهة جداً؟!».

ـ «كيف لا أكون متأكداً؟! فمن يعرفه أحسن مني؟! إنه أقرب أصدقائي وأفضلهم»[٢].

❁ ❁ ❁

---

(١) يوم كيبور: اسم عيد يهودي بمعنى عيد الغفران، وهو أهم الأعياد اليهودية، وأقدس يوم في السنة، حيث يصوم فيه اليهود، ولا يقومون بعمل أي شيء سوى العبادة والصلاة، وقراءة التوراة. (لمزيد من التفاصيل انظر: ظاظا. حسن، م. س. ذ، ص٢٠٢، وانظر أيضاً المسيري، م. س. ذ. ص٢٧٨).

(٢) HENRY D, SPALDING, ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR, op.cit. p.7.

من ناحية أخرى فقد أجاد اليهود صناعة النفاق والتملُّق منذ قديم الأزل، فقد درجوا على مجاراة الأمم المضيفة لهم ويدَّعون أنهم يعتنقون دياناتهم كنوع من النفاق الاجتماعي، مثال ذلك عندما عبدوا آلهة المصريين[1]. كما ظهر أيضاً ذلك النفاق في العصور اليونانية والرومانية القديمة وفي العصور الوسطى، وكانوا يتظاهرون باعتناق الديانة المسيحية حين تتطلب الظروف ذلك، وحين يشعرون بخطر يحيط بهم من جانب الحكام، وفي نفس الوقت كانوا يمارسون الدين اليهودي سراً. وفي العصر الإسلامي أيضاً تظاهر عدد من اليهود بالدخول في الإسلام نفاقاً ورياءً[2]. والفكاهات التالية تسلط الضوء على هذه الطباع اليهودية الأصيلة.

❁ ❁ ❁

٥١ ـ التحق سامي بالكنيسة الكاثوليكية على وعد منه بأن يتبع كل قوانينها وتعليماتها.. وحذره القسيس قائلاً:

ـ «تذكَّر أنه من الآن محَّرم عليك أن تأكل اللحم يوم الجمعة».

وعده سامي قائلاً:

ـ «وهو كذلك.. سوف أتذكر».

لكن القسَّ كان يشك في أمره، ولذلك ذهب في زيارة مفاجئة إلى بيت ذلك الرجل في يوم الجمعة، فوجد اليهودي السابق يلتهم قطعة كبيرة من لحم البقر (ستيك)، فصرخ فيه غاضباً:

ـ «إن هذه خطيئة كبرى.. ألم تعدني بأنك لن تتناول اللحم في يوم الجمعة من كل أسبوع؟!!».

أجاب الرجل بهدوء:

---

(١) بحر. عبد المجيد (د) اليهود في الأندلس، دار الكتاب العربي، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، المكتبة الثقافية، العدد ٢٣٧، سنة ١٩٧٠، ص٢٦.

(٢) مرسي. عادل هاشم (د)، اليهود بين القرآن والتلمود، كتب إسلامية، العدد ٢٤، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ص٥٩.

- «لحم؟!! من الذي يأكل لحم؟! إن هذا سمك».

- «أنت تريد أن تفقدني عقلي يا رجل.. كيف يستطيع أي إنسان أن يصنع السمك من اللحم؟!!».

- «بنفس الطريقة التي تجعلون بها من اليهودي مسيحياً؛ حيث ترشُّون عليه بعضاً من ماء لتعميده.. وأنا أيضاً صنعت اللحم من السمك بأن رششت عليه بعضاً من الماء!!»[١].

❁ ❁ ❁

٥٢ - وقع اليهودي جاك روبين في غرام فتاة ليست على دينه، فما كان عليه إلا أن غيَّر دينه، وسمَّى نفسه جيمس روبنسون وتزوجها، ثم أنجب منها طفلاً سماه باتريك. وذات يوم عاد الطفل من المدرسة يهلِّل فرحاً، وهو يقول:

- «لقد أخذت إجازة من المدرسة لمدة يومين بمناسبة عيد رأس السنة اليهودية».

قال له والده:

- «أنت يا بني نصف يهودي، لذلك فأنت لا تستحق إجازة غير يوم واحد فقط»[٢].

❁ ❁ ❁

٥٣ - قبل عيد الحانوكة[٣] بيومين خرج اليهودي فليدمان من منزله،

---

(١) HENRY D, SPALDING, ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR, op.cit. p.61.

(٢) HENRY D, SPALDING, ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR, op.cit. p.61.

(٣) عيد الحانوكة: عيد يهوديٌّ يسمَّى أيضاً عيد التدشين، لأن يهودا المكابي دخل أورشاليم في هذا اليوم، وأعاد الشعائر الدينية اليهودية في الهيكل، وللاحتفال بهذا العيد طقوس خاصة، أهمها إشعال الشموع، وتلاوة الأناشيد والقصائد، التي تشيد بالبطولات التي قام بها المكابيون، كما يقرؤون السفرين الخاصين بالمكابيين، ويحتفل به في إسرائيل على أنه عيد ديني قومي. (لمزيد من التفاصيل انظر: ظاظا. م. س. ذ. ص٢٠٥. وانظر أيضاً: المسيري، م. س. ذ. ص٢٧٥، ٢٧٦).

وأخذ يسير في الشوارع وهو حزين مهموم يسأل نفسه:

- «من أين لي بالمال الذي أشتري به احتياجات العيد لزوجتي وأولادي؟!!».

وأثناء سيره، مرَّ بكنيسة عُلِّق على بابها لوحة مكتوب عليها:

«مائة دولار تدفع لأي شخص يلتحق بهذه الكنيسة اليوم».

هنا وجد فليدمان مخرجاً لأزمته، وحلاً لمشكلته.. وعلى الفور دخل، والتحق بالكنيسة، وتسلَّم المائة دولار. وفي المساء، حكى لأسرته، كيف حصل على هذه الثروة المفاجئة، وهو يلوِّح بالأوراق المالية أمام أنظارهم.

فقالت له زوجته:

- «يا عزيزي.. هل تتذكر المعطف الذي كنت قد وعدتني به منذ ثلاث سنوات؟ إنه معروض الآن في المحل، وعليه أوكازيون كبير».

- «كم ثمنه؟».

- «لقد خُفِّض ثمنه إلى خمسين دولاراً، وكان قبل ذلك خمسة وثمانين دولاراً».

عدَّ الرجل خمس ورقات فئة العشر دولارات، وقدَّمها إلى زوجته».

وقال الابن:

- «أبي.. أنت تعرف أنه منذ وقت طويل وأنا أوفر كي أشتري دراجة إنجليزية الصنع، بثلاث سرعات، وها أنا ذا أملك الآن معظم ثمنها، لكني أحتاج فقط مبلغاً قليلاً جداً».

- «كم يكون هذا المبلغ؟».

- «خمسة وعشرين دولاراً».

أعطى فليدمان ابنه المبلغ المطلوب. ثم قالت له ابنته التي تبلغ من العمر عشر سنوات:

ـ «أبي. في الأسبوع القادم، سوف تقيم مدرستنا حفلاً راقصاً هاماً، وإذا لم أحضره بفستان جديد؛ فإنني سوف أموت».

ـ «لا.. لا داعي أن تموتي يا حبيبتي. كم ثمن هذا الفستان؟».

ـ «فقط خمسة وعشرين دولاراً يا أبي العزيز».

أعطاها فليدمان الخمسة والعشرين دولاراً الباقية معه وهو يقول:

ـ «آهٍ منكم أيها اليهود.. ما إن يحصل المرء على مبلغ من المال، إلا وكانت لديكم القدرة الفائقة على أن تسلبوه إياه»[1].

❁ ❁ ❁

٥٤ ـ تقابل أربعة من اليهود الروس في قطار، ممن كانوا قد اعتنقوا الديانة المسيحية، وراح كل منهم يبرِّر ما فعل.. فقال أول المرتدين:

ـ «إن الروس كانوا يقتلون اليهود القاطنين في قريتي، فلم أجد سبيلاً لإنقاذ حياتي غير أن أغيِّر ديني، وأعتنق المسيحية».

وقال الثاني:

ـ «إنني كنت أرغب في الالتحاق بالجامعة، ولكن كان غير مسموح لليهود بالقبول فيها؛ لذلك أصبحت مسيحياً حتى أستطيع أن أكمل تعليمي».

وقال ثالث المرتدين:

ـ «لقد وقعت بجنون في حب فتاة مسيحية جميلة، اشترطتْ علي أن أعتنق المسيحية حتى تقبلني زوجاً لها».

أما رابع المرتدين، فقال:

ـ «إنني فعلت ما فعلت لسبب غير كل هذه الأسباب، لقد آمنت بالمسيحية لأنني مقتنع بأنها أعظم...».

---

(١) HENRY D, SPALDING, ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR, op.cit. p.62, 63.

وهنا قاطعه أحد المرتدين قائلاً:

ـ «انتظر.. لحظة من فضلك، قل هذا الكلام لأصدقائك من غير اليهود، أما نحن فلن نصدقك»[1].

❁ ❁ ❁

٥٥ ـ في عهد الإسكندر الثالث، كان اليهود يعيشون في روسيا تحت وطأة الاضطهاد والمذابح والتهديد المستمر، لذلك اعتنق عدد كبير من اليهود الديانة المسيحية كوسيلة لحماية أنفسهم من الاضطهاد.. وفي أحد الأيام تقابل يهودي مع صديقه في أحد الشوارع الرئيسية في موسكو، وأبلغه أنه قد أصبح مسيحياً. صرخ فيه صديقه قائلاً:

ـ «لماذا؟! إنني لا أصدقك على الإطلاق.. إنك كنت دائماً أرثوذكسياً، ورجلاً من المتمسكين بالدين، ومعروفاً بالورع والتقوى».

ـ «إنني أقسم لك كيهودي بأنني الآن قد أصبحت مسيحياً»[2].

❁ ❁ ❁

ويتَّسم الطبع اليهودي أيضاً بالمبالغة والتفاخر والثقة في النفس التي تُعمي عن رؤية الحقائق، وهو نوع من الكذب؛ حيث إنه يجعل صاحبه لا يضع الأمور في نصابها غالباً، ويصاب بنقص في التفكير الذي ينزلق به دائماً نحو المغالطة، وقلب الحقائق، وعدم النظر إليها كما هي في الواقع. والنكات التالية توضح لنا ذلك:

٥٦ ـ ذات مرة.. عاش شقيقان في مدينة براغ، وكان أحدهما شخصاً محترماً يعمل أستاذاً جامعياً، في حين كان الآخر لصاً حقيراً. وكان الأول قليل التعامل جداً مع أخيه، ويتفاداه، ويبتعد عنه كأنه وباء الطاعون.. وذات يوم التقيا في الطريق، فأشاح الأستاذ الجامعي ببصره عن أخيه اللص قاصداً إهانته وزجره، فما كان من اللص إلا أن استوقفه، وقال له بحدة:

---

(١) HENRY D, SPALDING, ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR, op.cit. p.66.

(٢) HENRY D, SPALDING, ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR, op.cit. p.67.

ـ «لحظة من فضلك.. لماذا تتعالَى عليَّ؟ لا تنسَ أن أخي أنا أستاذ جامعي، أما أخوك أنت فهو لص وضيع خسيس، فلماذا كل هذا الغرور»[١].

❁ ❁ ❁

٥٧ ـ ذات مرة.. كان أحد الحاخامات في حالة مزاجية ممتازة، فأعلن أنه سوف يقدِّم زجاجة من النبيذ الفاخر لمن يقول كذبة يستطيع أن يتفَّوق بها على الآخرين. وتوالى الحاضرون في عرض أكاذيبهم، إلى أن جاء أحد الحاسيديم[٢] وقال:

ـ «ذات يوم.. في أحد أيام عيد الحانوكة، حدث أن كنا نصلِّي في المعبد، ونبتهل إلى الله في خشوع تام، فإذا بحرارة دعائنا قد أوقدت شموع الحانوكة المعلَّقة في جنبات المكان»[٣].

❁ ❁ ❁

٥٨ ـ كان أحد الفلاحين يعتز بحاخام قريته، ويفتخر بوَرَعه. وذات مرة قال لصديقه:

ـ «صدقني.. إن حاخامنا طاهر للغاية، وتقيٌّ جداً، إنه يصوم كل أيام الأسبوع ما عدا يومي السبت والأحد».

ردّ عليه صديقه الذي كان غريباً عن القرية:

ـ «لحظة من فضلك.. إنني رأيت حاخامك وهو يتناول إفطاره صباح اليوم، لماذا لا تكف عن الكذب؟!».

ـ «كذب؟! من الذي يكذب؟! أولاً.. فأنت لا تعرف حاخامي، ثم إنه إذا كان قد فعل ذلك؛ فهو دليل وبرهان على تواضعه، وأن السبب

---

(١) HENRY D, SPALDING, ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR, op.cit. p.21.

(٢) الحاسيديم: كلمة عبرية تعني الأتقياء، وتستخدم في العصر الحديث للدلالة على الحركة الدينية الصوفية التي أسسها بعل شيم طوف. (لمزيد من التفاصيل انظر: المسيري، م. س. ذ، ص١٦٩، ١٧١).

(٣) HENRY D, SPALDING, ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR, op.cit. p.68.

الوحيد الذي جعله يأكل خلال أيام الأسبوع هو أنه يخفي الحقيقة، حتى لا يعرف الناس أنه صائم»[١].

❁ ❁ ❁

٥٩ ـ كان هناك شاب وفي ينتمي إلى الحسيديم، أخذ يدافع عن حاخامه، بينما كان ليتفاك يشكك في قَدْر الحاخام، ودار بينهما الحوار التالي:

ـ «ألم تعلم كم هو عظيم حاخام المعبد؟».

ـ «لماذا؟!».

ـ «إنه تقي وورع لدرجة أن الربَّ ينزل من السماء مساء كل يوم سبت، ويجلس بجانبه على كرسي، ويظل بصحبة هذا الرجل القديس طوال الليل».

ـ «كيف عرفت أن هذا يحدث بالفعل؟!!».

ـ «ليس هناك شك في هذا.. إن الحاخام بنفسه هو الذي قال لنا ذلك».

ـ «نعم، لكن كيف تعرف أنه يقول الحقيقة؟!».

ـ «أيها الأحمق الأبله!! هل تفكر للحظة أن الرب ذا السلطة والقدرة يمكن أن ينزل ليجالس كذاباً؟!»[٢].

❁ ❁ ❁

(١) HENRY D, SPALDING, ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR, op.cit. p.68.

(٢) HENRY D, SPALDING, ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR, op.cit. p.72.

الخيانة والخداع والمكر والدهاء

الخيانة داء في دم اليهودي، ويظهر هذا الأمر في حياته على مستويات مختلفة، سواء على مستوى العلاقة الزوجية، أو على مستوى العلاقة مع الآخرين.. فهو سلوك شائع بين اليهود، وطبيعة لازمتهم طوال العصور. وسوف نسوق للقارئ أدلة على ذلك من فكاهاتهم:

٦٠ ـ قالت الزوجة لزوجها، وقد استشاطت غضباً:

ـ «جورج.. لقد رأيتك اليوم وأنت تقبل الخادمة، أريد منك تفسيراً لذلك».

قال الزوج سريع البديهة:

ـ «من فضلك لا تسيئي بي الظنون.. كل ما حدث أنني كنت أعاتبها لأنها لم تنظف حجرة المعيشة كما ينبغي، وإذا بي أفاجأ بها تهجم علي بالمقشة، فاضطررت إلى أن أعضها في شفتيها دفاعاً عن نفسي»[١].

❁ ❁ ❁

٦١ ـ كان هناك بائع متجول أعمى، وله صديق مبصر... وحدث ذات مرة أن اشتريا سلة من الكرز، واتفقا على أن يتبادلا أكلها ثمرة ثمرة كل في دوره، وبدأ الاثنان في الأكل، وفجأة ضرب الأعمى لكمة شديدة استقرت في أنف المبصر، وصرخ الرجل وقال لصديقه بدهشة:

---

(١) HENRY D, SPALDING, ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR, op.cit. p.71.

ـ «ماذا حدث، وماذا فعلت لكي تضربني هكذا».

ـ «أنت غشاش... إنني آكل في كل مرة اثنين من حبات الكرز، وأنت تراني، ومع ذلك فأنت صامت لم تقل أي شيء، ولم تنطق بكلمة واحدة، وهذا معناه أنه لا بدَّ وأنك تأكل ثلاثاً أو أربعاً في المرة الواحدة أيها اللص الوضيع!!»[1].

❁ ❁ ❁

من ناحية أخرى فقد عرف عن اليهودي أنه مخادع من الطراز الأول، وأن لديه قدرة غريبة على ابتكار الذرائع التي يتحايل بها على الآخرين لكي يحصل على مطلبه. كما يوسم اليهودي باللؤم والمكر والدهاء والمهارة في السيطرة على عقول الآخرين وإقناعهم بوجهة نظره بكل السبل. ولنرى أمثلة لذلك في النكات التالية:

٦٢ ـ احتاج مريض أن يزور طبيباً أخصّائياً جعل الكشف عنده خمسة وعشرين دولاراً في الزيارة الأولى، وعشرة دولارات عن الزيارة الثانية. وعندما دخل المريض المخادع غرفة الطبيب، قال:

ـ «حسناً يا دكتور.. لقد عدتُ مرة أخرى».

ولكن الطبيب كان متأكداً من أنه لم يقابل هذ الرجل من قبل.. ولما كان قد تعوَّد على مثل هذا الخداع، لذلك فحص مريضه، ثم قال له:

ـ «استمر على العلاج الذي وصفته لك في المرة السابقة»[2].

❁ ❁ ❁

٦٣ ـ لمح الشمَّاس رجلاً يمد يده طالباً الإحسان أمام المعبد اليهودي، حاول أن يتذكر أين رأى هذا الوجه المألوف من قبل.. في الحال تذكَّر أنه رأى هذا الرجل أمام الكنيسة الكاثوليكية فاندفع نحوه، وصاح فيه:

---

(١) HENRY D, SPALDING, ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR, op.cit. p.23.

(٢) HENRY D, SPALDING, ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR, op.cit. p.44.

ـ «أنت غشَّاش ومخادع، إنك بالأمس فقط كنت تشحذ أمام الكنيسة الكاثوليكية، واليوم أراك تشحذ أمام المعبد اليهودي.. قل لي من أنت؟ وهل أنت يهودي أم كاثوليكي؟».

ردَّ الشحاذ:

ـ «إني يهودي.. ولكن قل لي بالله عليك، في هذا الزمن الصعب من ذا الذي يستطيع أن يتعيش على دخل عن ديانة واحدة؟!!»[١].

❁ ❁ ❁

٦٤ ـ سار رجل يكسو الحزن وجهه، ويلبس نظارة سوداء، ويمسك في يده علبة صفيح، ويطوف شوارع المدينة، وهو يقول:

ـ «ساعدوا الأعمى.. ساعدوا الأعمى».

مرت أمامه سيدة، وألقت بقطعتين من النقود المعدنية في علبة الشحاذ الأعمى، وقالت له:

ـ «آه، يا لك من رجل مسكين تستحق الشفقة والعطف».

ـ «شكراً يا سيدتي.. إنني منذ أن رأيت وجهك، أدركت من الوهلة الأولى أنك تملكين قلباً طيباً للغاية»[٢].

❁ ❁ ❁

٦٥ ـ كان هناك شحاذ متجوّل، اعتاد أن يتنقَّل من مكان إلى آخر.. وصل هذا الشحاذ مؤخراً إلى إحدى القرى الصغيرة في ليتوانيا، وكان ذلك بعد ظهر يوم الجمعة. فقيل له إنه لا أمل قط في أن يحصل على أي صدقة؛ لأن الجميع قد وزعوا صدقاتهم للفقراء كي يستطيعوا الاستعداد للاحتفال بيوم السبت، فقال الشحاذ بعصبية:

ـ «أتعني أنني لن أجد شخصاً يمكن أن يؤويني فيوفر لي مكاناً أنام فيه، ويعطيني شيئاً آكله؟!!».

---

(١) HENRY D, SPALDING, ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR, op.cit. p.30.

(٢) HENRY D, SPALDING, ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR, op.cit. p.35.

ردَّ عليه صديقه الشحاذ قائلاً:

ـ «هناك رجل يُدعى لانداو، وهو شخص ثري جداً، غير أنه بخيل للغاية، وهو لا يرحِّب بأي غريب في بيته».

ـ «دلني عليه، فأنا أعرف كيف أتصرف مع مثل هؤلاء».

وخلال دقائق، كان الشحاذ يطرق باب ذلك الرجل الغني.. فتح له الخادم وعرض عليه كوبر (مليماً)، فقال له الشحاذ موضحاً:

ـ «أنا لا أريد حسنة أو صدقة.. إنما جئت لمقابلة السيد لانداو من أجل القيام بتجارة معه».

حينئذ.. أدخله الخادم على الفور، قابله الثري الذي سأله بأدب:

ـ «ما العمل الذي يمكن أن أعمله معك؟!!».

ردَّ الشحاذ قائلاً:

ـ «سيدي لانداو.. كم تستطيع أن تدفع لي في جوهرة ضخمة في حجم البيضة؟».

لمعت عينا الثري البخيل من الطمع، ثم قال:

ـ «أنا لا أستطيع أن أقول شيئاً الآن، فالأمر يستلزم بعض الوقت لدراسته، أرجوك.. امكث معي الليلة وغداً حتى تستريح، وبعدها سوف نتحدث في العمل، فهل تقبل دعوتي؟». قبل الضيف الدعوة، وهو يضحك في أعماقه إزاء إصرار الثري على إبقائه ومنعه من الخروج حتى لا يلتقي بزبون يشتري منه الجوهرة. ومرَّ يوم السبت، فقال الثري للرجل:

ـ «الآن دعني أرى الجوهرة؟!!».

ـ «جوهرة!! أي جوهرة؟!!.

ـ «لقد قلت لي أن لديك جوهرة في حجم البيضة».

ـ «يا عزيزي.. كنت أسأل كم يمكنك أن تدفع لي إذا كان عندي جوهرة بهذا الحجم؟ إنه مجرد سؤال!! أليس من حقي أن أسأل سؤلاً نظرياً غير عملي؟!!»[١].

❁ ❁ ❁

٦٦ ـ مر شحاذ يُدعى يوسيل على قرية صغيرة لم يجد فيها من يساعده ويقدم له لقمة عيش. كاد يوسيل أن يموت جوعاً؛ لذلك فكر في حيلة يكسب منها مالاً يعينه على الحياة.. فراح يتجوَّل في القرية معلناً أنه في صباح يوم الجمعة سوف يمد سلكاً بين ضفتي النهر، وأنه سيسير فوقه عابراً هذه المسافة الطويلة، وأنه سيتقاضى من كل متفرج قرشين فقط.

وفي الموعد المحدد.. احتشد الناس على ضفتي النهر، وقد أصابتهم دهشة شديدة عندما رأوا السلك ممتداً بين الضفتين بالفعل. راح الشحاذ يجمع القروش من الحاضرين حتى جمع مبلغاً كبيراً، ثم وقف بينهم قائلاً:

ـ «أيها السادة.. أعرفكم أنني ما سبق أن كنت ممن يلعبون على الحبال، ولم أتدرب أبداً على ذلك طوال حياتي، وإذا فعلت ذلك، فإنني حتماً سوف أسقط في الماء، ولكن حيث إنني رجل شريف يحترم كلمته، فسأقوم بهذا العمل إذا كنتم ترغبون في رؤية يهودي فقير يموت غرقاً في مقابل قرشين حقيرين، ولكن تذكروا أن دمي في رقبتكم!!!».

فما كان من الحاضرين إلا أن منعوه من السير على الحبل خشية أن يسقط في الماء ويغرق[٢].

❁ ❁ ❁

٦٧ ـ اقترض برمان من صديقه بروستين مبلغ مائة دولار، ومر عام كامل على موعد سداد الدين.. وأخيراً استطاع المدين أن يدبر المبلغ، فالتقى

---

(١) HENRY D, SPALDING, ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR, op.cit. p.29, 30.

(٢) HENRY D, SPALDING, ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR, op.cit. p.34.

بصديقه في حانة صغيرة، وطلب كل منهما كأساً من النبيذ لكي يحتفلا بهذه المناسبة. وبينما كانا يرتشفان النبيذ، وهما مستغرقان في الذكريات عن الزمن الماضي، دخل عليهما رجل يرتدي قناعاً على وجهه، ويمسك مسدساً في يده، وهددهما قائلاً:

ـ «ارفعا أيديكما وأخرجا كل ما معكما من نقود إذا كانت حياتكما غالية عليكما، وتريدان أن تبقيا على قيد الحياة».

فما كان من المدين إلا أن أسرع يخرج محفظته، ويضعها في جيب جاكت الدائن، وهو يقول له:

ـ «بروستين.. تفضَّل خذ المائة دولار، وتذكر ها أنذا قد سددتُ لك دينك كاملاً دون أي باقٍ»[1].

❁ ❁ ❁

٦٨ ـ اضطر يهودي يُدعى يانكل أن يغادر مدينته الصغيرة ويذهب إلى موسكو بحثاً عن حظ أوفر، لكنه عاد بعد مضي عام كامل دون أن يحقق شيئاً من الكسب، وكان حظه سيئاً للغاية. خشي أن يعود إلى زوجته خالي الوفاض، وكانت كل مشكلته هي كيف يواجه زوجته؟ إنها امرأة سليطة اللسان، وسيئة الطباع. فقال يانكل في نفسه:

ـ «كيف أعود إلى البيت دون أن أحضر أي نقود بالمرة.. لا بدَّ وأن أفكر في حلٍّ منطقي لهذه المشكلة».

وفجأة خطرت على باله فكرة.. مدَّ يده في جيبه، وأخرج منه منديلاً كبيراً لونه أحمر، ثم غطَّى به وجهه فيما عدا فتحتين أمام عينيه ليرى الطريق. وما أن طرق باب شقته، وفتحت له زوجته، حتى صاحت:

ـ «ماذا حدث لوجهك؟!!!»

---

(١) HENRY D, SPALDING, ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR, op.cit. p.76.

أخذ يانكل ينتحب ويتأوّه، وهو يندب حظه، وهو يقول:

- «لقد حدث شيء فظيع للغاية.. لقد اعترض طريقي عصابة من اللصوص، وقبضوا علي، وخيروني بين أن يأخذوا مني كل النقود التي معي، وبين أن يقطعوا أنفي».

تأثرت زوجته، وقالت له وهي تبكي:

- «يقطعون أنفك؟! وكيف تعيش بدون أنف؟! لماذ لم تعطهم النقود؟!».

قال لها يانكل وهو يرفع المنديل من على وجهه:

- «كَفَى.. كَفَى، لا تبكي يا عزيزتي.. هذا هو ما فعلته بالضبط»[1].

❁ ❁ ❁

(١) HENRY D, SPALDING, ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR, op.cit. p.17.

الجدل والمراوغة

أحق الناس بأن يوسم بالجهالة، من كان طبعه أبياً أن يعترف بالحقائق، وعقله بعيداً عن التسليم بالبديهيات، وأجدر الناس من يوصف بالضلالة، من كان طبعه لَيَّ عنق الحقائق، والتشكيك في المسلَّمات، وتزييف الواقع.. واليهودي يجمع في طبعه بين هذه الصفات؛ فهو يجيد المجادلة والمراوغة، ولا يطاوله في ذلك أي جنس آخر، فلليهودي منطقه الخاص الذي يحاول أن يقنع به الآخرين، ويجادلهم فيه، بل ويصر على سلامته، ويلحُّ عليه، رغم ما فيه من كذب بيِّن، وبهتان أكيد. حيث يمكن أن نطلق على اليهودي لفظ سوفسطائي، وهي تعني الشخص الذي لديه القدرة على إثارة مناقشة حيَّة وطويلة حول أمر لا يحتمل النقاش حوله من الأصل لأنه واضح وضوح الشمس، وبديهي للغاية، ومن المسلَّمات التي لا تقبل التشكيك فيها.

هذا، وقد تم اختيار مجموعة من الفكاهات اليهودية التي يتضح فيها الطبع اليهودي الذي يتفنَّن في لَيِّ عنق حقيقة الأمور وفقاً لفكرته ومصلحته هو، بدلاً من أن ينظم فكرته وفقاً لطبيعة الأمور وكينونتها الحقيقية:

هناك فارق كبير بين أن تكون راغباً في شيء، وبين أن تكون قادراً على عمله.. هذا قول مأثور يتردد منذ مئات السنين.

٦٩ ـ يحكى عن يانكل، ذلك الأديب الذي أرسلته زوجته ريبا إلى السوق كي يشتري بَقَرَةً، وعندما رجع وضع البقرة في حظيرة الحيوانات.. نظرت ريبا من شرفة البيت فرأته، حملت معها إناءً وأسرعت إلى الحظيرة

لتحلب البقرة الجديدة.. لكن لم تمر سوى دقائق معدودة حتى عادت إلى المنزل وقد استشاطت غضباً، وأخذت تصرخ في زوجها وتسأله:

- «كيف تدفع مبلغاً كبيراً في مثل هذه البقرة عديمة الفائدة؟!».

- «لماذا تقولين عديمة الفائدة».

- «إن بقرتك الغالية لم ترغب أن تعطي ولو قطرة واحدة من اللبن!!».

- «ربما أنك لم تعرفي كيف تحلبين البقرة.. دعيني أجرب بنفسي».

ثم أخذ يانكل الإناء ومضى به إلى الحظيرة، بينما كانت البقرة تخور.. بعد قليل رجع والإناء فارغاً، وقال لزوجته:

- «ربما.. يبدو أنه فيما بعد يجب عليك أن تعتني أكثر بعباراتك اللغوية».

- «إيه.. ما تقصد؟!!!».

- «لقد ارتكبت خطأ فادحاً في دلالات الألفاظ الكلامية.. كيف تقولين إن البقرة لم ترغب في أن تعطي أي نقطة من اللبن؟!! الحقيقة أنها تريد فعلاً، ولكن هناك شيئاً بسيطاً؛ إن البقرة لا تستطيع تحقيق ما تريد»[1].

❁ ❁ ❁

٧٠ - كان ريب بيريل شاريق يدرس في التلمود.. توقف عن القراءة، وذهب ليتناول كوباً من الشاي، وعند عودته لكي يستأنف القراءة لم يتذكر أين وضع نظارة القراءة، فقد اعتاد أن يضعها فوق الكتاب الذي يقرأ فيه، ولكنه هذه المرة لم يجدها في مكانها المعتاد، ونسي أنه دفعها إلى أعلى جبينه. بحث عن النظارة في كل مكان، ولكنه لم يعثر عليها.. فكر مليًّاً وهو يتحسس لحيته، ثم قال في نفسه:

---

(١) HENRY D, SPALDING, ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR, op.cit. p.2.

- «يجب أن أستدعي معلوماتي، وأتبع المنطق التلمودي لكي أصل إلى النظارة.. أولاً، إذا كانت نظارتي قد سُرقت مني؛ فعليَّ أن أعرف من ذا الذي سرقها؟. دعنا نفترض أن الذي أخذها شخص يحتاج إلى نظارة فعلاً، ومن ناحية أخرى فإن ذلك الشخص بلا شك لديه نظارة خاصة به، إذن فلماذا سرق نظارتي؟!. وإذا افترضنا أن الذي أخذها شخص لا يستخدم نظارة؛ إذاً فليس هناك سبب لسرقتها، قد يكون سرقها من أجل شخص آخر يحتاج إليها، ولكن إذا كان هناك شخص يحتاج إلى نظارة بالفعل، فلماذا إذن يدفع مبلغاً كبيراً من المال في نظارتي المسروقة؟! وإذا كان هذا الشخص الذي فقد نظارته حريصاً مثل معظم أصحاب النظارات الذين يرفعون النظارة إلى أعلى الجبهة حتى لا ينساها في أي مكان؛ فإنه ربما يكون قد دفع بها من فوق أنفه إلى أعلى جبهته. آه يا إلهي.. لقد توصلت إلى استنتاج هام، لماذا لم يكن قد حدث معي أنا شخصياً نفس الشيء؟!. عندئذ.. وضع ريب بيريل يده على رأسه فوجد نظارته، فوجدها وأمسك بها»[1].

❁ ❁ ❁

٧١ - أسند إلى أحد المؤرخين مهمة ترجمة وثائق هامة خاصة بالبحر الميت كان قد عثر عليها، وطلب منه أن يبسِّطها، وينقلها إلى لغة الحياة اليومية، ومنحوه مهلة ثلاث سنوات ليقدمها إلى الأكاديمية اليهودية التاريخية بأمستردام. عكف المؤرخ على العمل ليل نهار على مدى عامين كاملين، وأحد عشر شهراً، وكاد أن ينهي العمل في هذا المرجع القيم.

وفي الأيام الأخيرة، لاحظت زوجته أنه مرهق للغاية، فدعته أن يتناول بعضاً من الساندويتشات، ثم ينام قليلاً ليأخذ قسطاً من الراحة، ثم يستأنف عمله وينهي الفصل الأخير عندما يستيقظ... استجاب الرجل للنصيحة، وبعد ساعتين تقريباً، استعاد نشاطه، وعاد إلى مكتبه ليكتب الورقات القليلة الأخيرة من عمله.

---

(١) HENRY D, SPALDING, ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR, op.cit. p.6.

نظر الرجل إلى مكتبه في رعب.. لا يوجد ولا ورقة في الملفات الكثيرة التي كتبها. صرخ ينادي زوجته:

ـ «هيلدا.. هيلدا.. ماذا حدث هنا؟! أين كل أوراقي؟!.

ـ «أنا لا أعرف.. لم يدخل حجرتك أحد غير الخادمة فقط، لقد طلبت منها أن تنظمها وترتبها بينما كنت نائماً».

جاءت الخادمة على الفور، سألها بينما تظهر عليه علامات القلق:

ـ «ماذا فعلت بأوراقي؟!».

قالت الخادمة بهدوء:

ـ «لا تنزعج يا سيدي.. إن كل شيء على ما يرام، إنني لم أحرق فقط سوى الأوراق التي كتبت عليها بالفعل، أما الأوراق الأخرى النظيفة، فلقد وضعتها في درج مكتبك»[1].

❁ ❁ ❁

٧٢ ـ علَّق أحد الشحَّاذين اليهود في رقبته لوحة مكتوب عليها: «ساعدوا هذا الفقير».. وكان هذا الرجل إذا أحسن إليه أحد بشيء، شكره في عذوبة ورقة، وقد ظهرت على وجهه ابتسامة حلوة تعبر عن امتنان عميق. وفي أحد الأيام منحه أحد المارة قطعة ذهبية، ثم سأله قائلاً:

ـ «قل لي بالله عليك.. أما من أسرة لك؟».

ـ «بالطبع لي أسرة».

ـ «وهل لديك أولاد».

ـ «عندي خمسة أولاد، وجميعهم كبار وفي مراكز جيدة».

ـ «إذن.. فلماذا لا يقدِّمون لك المساعدة والعون؟!».

ـ «إنهم سوف يفعلون ذلك إذا أنا طلبت منهم ذلك».

---

(١) HENRY D, SPALDING, ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR, op.cit. p.4.

- «ولماذا لا تطلبها»؟!».

- «ماذا؟! أتريد مني أن أفقد استقلاليتي واعتمادي على نفسي؟!»[1].

❁ ❁ ❁

٧٣ - قدم مهاجر يهودي جديد إلى مدينة نيويورك، وسأل صديقه:

- «كم المسافة من نيويورك إلى فيلاديلفيا؟».

- «نحو مائة ميل».

- «وما المسافة من فيلاديلفيا إلى نيويورك».

- «بالطبع نفس المسافة».

- «يا عزيزي.. لا تقل بالطبع؛ فليس من الضروري أن تكون المسافة في الذهاب هي نفسها في الإياب».

- «كيف يكون ذلك؟!».

- «أقول لك على سبيل المثال: إن المدة بين أول يناير وأول فبراير شهر واحد، لكن المسافة بين أول فبراير وأول يناير التالي هي أحد عشر شهراً، أليس كذلك؟!»[2].

❁ ❁ ❁

٧٤ - كان الشتاء قاسياً، عندما عبر شاب يهودي بولندي الحدود في طريقه إلى روسيا بحثاً عن ملجأ ومأوى، هرباً من مذابح البرجوم[3] في تلك المنطقة. وكانت درجة الحرارة تقريباً عشرين تحت الصفر، وكان يبحث عن مكان يدفئ فيه عظامه. وفجأة هاجمه ذئب روسي ضخم، فأخذ يبحث عن عصاً يدافع بها عن نفسه، وإذا بها متجمدة بين الثلوج، فصاح قائلاً:

---

(١) HENRY D, SPALDING, ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR, op.cit. p.39.

(٢) HENRY D, SPALDING, ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR, op.cit. p.22.

(٣) البرجوم: كلمة أصلها روسي، استخدمها اليهود ليشيروا إلى المذابح التي تمت ضدهم في مناطق الاستيطان في روسيا.

- «ما أغبى هؤلاء الناس في تلك البلاد!!.. يتركون الذئاب طليقة، بينما يحبسون عصيهم في الجليد!!»[1].

❁ ❁ ❁

٧٥ - قبضوا على اللص آرت زويج، وقُدِّم للمحاكمة لقيامه بعمليات سرقة أخرى، فقال له القاضي متذمِّراً:

- «يا زويج.. إن هذه خامس مرة تقدَّم فيها للمحاكمة خلال هذا العام.. يجب عليك أن تخجل من نفسك!!».

فسأله زويج مؤنباً:

- «بالله عليك يا سيدي.. هل ترى أن هذا أسلوب طيب في الحديث؟!! لقد رأيتك هنا أنا أيضاً خمس مرات فقط، لكن ترى هل يمكنني أن أنتقدك كما تفعل أنت معي الآن؟!»[2].

❁ ❁ ❁

٧٦ - ذهب معلِّم فقير إلى حاخام عالم في أمور الدين، وقال له:

- «سيدي.. أنا أعرف أنك مشغول جداً، لكن لديَّ سؤال واحد فقط، جئتك كي تجيبني عليه».

- «حسناً جداً، ما هو هذا السؤال؟».

- «العيد على الأبواب، وأنا ليس لديَّ مال لشراء مستلزماته.. فقل لي يا سيدي بالله عليك ماذا أفعل؟».

- «إن ذلك لأمر بسيط للغاية، إنك تستطيع أن تحصل على مال كافٍ تشتري به كل ما تحتاج عندما تبيع شمعدانك الفضي».

- «لكن من أين يكون لي هذا الشمعدان الفضي؟».

---

(١) HENRY D, SPALDING, ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR, op.cit. p.4.

(٢) HENRY D, SPALDING, ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR, op.cit. p.75.

ـ «ألم تعقل ما تقول يا رجل؟! إنك عندما جئت إلى هنا قلت: إن لديك سؤال واحد فقط، وأنا أجبتك عليه، والآن تسألني من أين لك شمعدان فضّي، وهذا سؤال ثان.. فاذهب إذن إلى شخص آخر يجيبك على سؤالك هذا!!!»[1].

(١) HENRY D, SPALDING, ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR, op.cit. p.89.

التآمر والاغتيال والقتل

اليهود عتاة في العنف والعدوان والتآمر والاغتيال، وتعتبر تلك الأمور من أهم خصوصيات الشخصية اليهودية؛ فكم من أيادي سوداء كانت لهم في أكثر حركات الاغتيال التي حدثت في العالم قديماً، وأيضاً في العصر الحديث ما أكثر الاغتيالات والمذابح التي قام بها اليهود[1]. ولنذكر مثالاً من فكاهاتهم، يحكي لنا عن حادثة من هذا النوع:

٧٧ ـ كان رالف يحتضر حين جاءه شريكه في العمل شارلي، فقال له رالف:

ـ «يا شارلي.. لقد أخطأتُ في حقك كثيراً، أرجوك أن تسامحني، إنني بحق أعتذر لك».

ـ «ماذا فعلت، وما هو الخطأ؟!».

ـ «أتتذكر عندما سُرِقتْ من شركتنا خمس وسبعون ألف دولاراً حينما كنت أنت في إجازة؟.. لقد كنت أنا الذي أخذتها».

ـ «وهو كذلك.. ليس هذا هو الوقت المناسب كي تفكِّر في مثل هذه الأمور».

ـ «وعندما قمت أنت بإعداد التصميم الجديد للقماش.. فأنا الذي

---

(١) لمزيد من التفاصيل انظر: النجار. صبحي، من جرائم الصهيونية بين القاهرة والقدس. انظر أيضاً: علي. محمد علي، دولة الإرهاب، كتب قيمة من العدد ٢٤٠.

سرقته منك، وبعته للشركة المنافسة لتنفذه قبل أن تطرحه شركتنا في السوق..»

- «انْسَ.. انْسَ.. حاول أن تستريح».

- «كما أنني عملت بوليساً سرِّيًا عليك، ومكنت زوجتك من ضبطك في الفندق مع عارضة الأزياء حتى تستطيع زوجتك أن تحصل على الطلاق منك. من فضلك يا شارلي، أرجوك اغفر لي قبل أن أموت».

- «على أي شيء أسامحك.. إننا متساويان في الخطأ، إذ أنني أنا الذي وضعت لك السُّمَّ في طعامك!!»[1].

❁ ❁ ❁

أيضاً لم تصادف البشرية شعباً عامل أنبياء الله ورسله أسوأ مما عامل اليهود، ولا يمكن تخيُّل وقاحتهم معهم؛ حيث لوَّثوا سيرتهم، ووصفوهم بأقذع الصفات، ونعتوهم بأشنع الأخلاق[2]. هذا، وقد عُرف عن اليهود أيضاً أنهم قَتَلة الأنبياء، وذكر القرآن الكريم أن هذه طبيعة اليهود حيث جاء في سورة المائدة: ﴿كُلَّمَا﴾[3]. وقد أُطلقت عبارة قَتَلة الأنبياء على اليهود بشكل واسع، ومن قبل المسيحيين على وجه الخصوص لاعتقادهم أن اليهود قَتَلة المسيح. واليهود يتندَّرون في فكاهاتهم على هذه المقولة التي تتردد كثيراً، وتعالَوا نقرأ ما يلي:

٧٨ - ذهب فيتال وفيفال معاً إلى الكنيسة كي يتم تعميدهما، ويعتنقا الديانة المسيحية.. تمَّ استدعاء فيتال أولاً كي تجرى له مراسيم التعميد في حجرة خاصة لذلك، وعندما خرج قابله فيفال في ترحاب قائلاً:

---

(١) HENRY D, SPALDING, ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR, op.cit. p.79.

(٢) محمد علي البار (د) أباطيل التورات والعهد القديم - الله والأنبياء في التوراة والعهد القديم، ص٧٠.

(٣) القرآن الكريم، سورة المائدة: الآية ٧٠.

ـ «كيف سارت الأمور يا فيتال؟».

تجاهل فيتال صديقه، ولم يرد عليه بكلمة واحدة.. نادى عليه فيفال قائلاً:

ـ «هيه.. ماذا حدث لك يا فيتال؟!!!».

ـ «أولاً: أنا اسمي لم يعد فيتال بل أصبح فيليب.. وثانياً: ليس لديَّ ما أقوله لك يا يهودي، فأنت من طائفة قَتَلَة الأنبياء الذين صلبتم المسيح»[1].

(١) HENRY D, SPALDING, ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR, op.cit. p.80.

الشعور بالاضطهاد

تعتبر قضية الاضطهاد اليهودي من الرواسب الثقافية التراثية التي يتاجر بها اليهود في كل زمان ومكان.. وتمثل أحداث الاضطهاد جرحاً غائراً في أعماق النفسية اليهودية، وبصفة خاصة تلك الفترة التي عانَى فيها اليهود في ظل النظام النازي ـ شأنهم في ذلك شأن الشعوب الأخرى ـ حيث أثَّرت على عقلية اليهود ونفسيتهم. ويسعى اليهود إلى تذكير وعيهم بطريقة تجعل أحداث هذه الفترة لا تكف عن الظهور كشبح في أذهانهم[١] ويؤكد جون لافين أن موضوعات الإبادة الجماعية لليهود موضوعات موحية[٢].

ويرى اليهود أن تاريخ معاناتهم واضطهادهم معينٌ لا ينضب، وكنزٌ لا يفنى، فهم يجدون فيه دائماً مادة خصبة لأغلب أعمالهم الأدبية، وحكاياتهم الشعبية، ووصل بهم الأمر إلى أنهم يقحمون هذه الأحداث في فكاهاتهم ودعاباتهم، فيتندرون في معاناتهم.

ولكن دعنا نتساءل هنا: ما هي وجهة نظر اليهود في ذلك؟ أي ما هو غرضهم من أن يتخذوا من المأساة مادة موحية؟! ولماذا يحرص اليهود على أن تحتوي فكاهاتهم على حكايات لأحداث اضطهاد وظلم وقع عليهم في فترات زمنية مختلفة؟!.

---

(١) جون. لافين، العقلية الإسرائيلية، كتب مترجمة، الهيئة العامة للاستعلامات، ص٥١.

(٢) المرجع السابق، ص١٤١.

للإجابة على هذه الأسئلة يجب أن نضع أيدينا على عدة حقائق، وهي:

أولاً: يرى اليهود في التشدُّق بمعاداة السامية تأكيداً على أنهم جنس سامي، وأعلَى من باقي الأجناس؛ لذلك فإن الشعوب تحقد عليهم، وتكرههم فتضطهدهم.

ثانياً: كنوع من التذلُّل والمسكنة لاستدرار العطف عليهم وكسب تأييد الرأي العام العالمي في مساندة اليهود لأن تكون لهم دولة مستقلة، ولكي يبرِّر اليهود احتلالهم لفلسطين، ويقنعوا العالم بأن وجودهم داخل دولة خاصة بهم يعتبر ضرورة هامة تقتضيها متطلبات أمن وسلامة اليهود المشتَّتين في العالم، حتى لا يقعوا فريسة لاضطهاد الشعوب لهم.

ثالثاً: كي يتاجروا بموضوع معاناتهم ويستغلّوا أحداث اضطهادهم ليشعروا شعوب العالم بالذنب في حق اليهود، حتى يستطيعوا الحصول منهم على أكبر قدر من التعويضات تكفيراً عن ذنوبهم في حق هذا الجنس المظلوم دائماً وأبداً!!

رابعاً: يسعى اليهود إلى جعل ذاكرتهم حية بصفة مستمرة بخصوص اضطهادهم، وجعل أحداثه بمثابة صورة مطبوعة في الوعي واللاوعي، ومخزونة في مستودع الذكريات من باب تنشيط الفكر والذاكرة؛ كي تجتر حوادث الاضطهاد لتوليد العنف نحو الآخرين.

خامساً: تشكل الذاكرة اليهودية بالاضطهاد، أحد الدعاوى الأساسية التي يلح عليها الفكر الصهيوني بشكل مستمر؛ من أجل إبقاء الوعي العام لليهود في حالة من التذكر الدائم كنقطة استقطاب للمشاعر الوطنية والقومية، وكعامل رئيسي لزيادة الهجرة إلى فلسطين واستمرارية استيطانها.

والأمثلة التالية من الفكاهات توضح لنا مدى حرص الموروث الشعبي اليهودي على ترديد مقولة الاضطهاد اليهودي بمختلف الصور والأشكال.

٧٩ ـ «إذا سألت سؤالاً أحمق، فإنك سوف تحصل على إجابة حمقاء» إنها من الأقوال اليهودية المأثورة القديمة، والتي أصبحت من الأمثال العالمية اليوم.. وهذا القول ينطبق على حكاية «نابليون والخياط اليهودي». فيحكى أنه أثناء تقهقر نابليون بونابرت من روسيا عقب هزيمته هناك، مر بمستوطنة يهودية، وكان الأعداء يتعقبونه، فخاف على حياته، وبحث عن مكان يختبئ فيه من مطارديه.. لجأ إلى بيت خياط يهودي، وقال له وهو يرتعد من الخوف:

ـ «خبئني بسرعة.. إذا عثر عليَّ الروس فإنهم سيغتالونني ويقتلونني».

لم يفكر الخياط من يكون هذا الغريب، ولكنه تحرك بدافع من الرحمة لإنسان ما؛ فأخفاه تحت كومة من المراتب المحشوة بالريش.. لم يمر وقت طويل حتى سمع طرق شديد على الباب، وإذا باثنين من الجنود الروس مسلحين بالرماح والحراب قد اقتحما البيت وسألا اليهودي بلهجة عنيفة:

ـ «هل يوجد أي شخص مختبئ هنا»؟ وكعادة الإسرائيليين في الإجابة عن السؤال بسؤال آخر.. سأل الخياط الجنديان قائلاً:

ـ «من هو ذلك الأحمق الذي يمكنه أن يختبئ في بيتي؟»

فتش الجنديان البيت تفتيشاً دقيقاً، ولم يدعا ركناً فيه إلا وقد بحثا فيه.. وبينما كانا في طريقهما للخروج، قاما بطعن المراتب بالحراب عدة طعنات، بعد ذلك غادرا البيت، وأغلقا الباب وراءهما. خرج نابليون من تحت كومة المراتب وهو شاحب الوجه ويتصبب عرقاً، ولكنه بخير ولم يصب بأي أذىً.

التفت نابليون إلى الخياط، وقال له:

ـ «على فكرة.. أعرِّفك بنفسي، إنني نابليون بونابرت إمبراطور فرنسا، وبما أنك قد أنقذت حياتي من موت مؤكَّد، فإنني قررت أن أحقق لك ثلاث أمنيات، أيا كانت».

فكر الرجل لحظة، ثم قال:

ـ «يا سيدي الإمبراطور.. إن سقف بيتي يرشح، وماء المطر يتسرَّب منه، لكني لا أملك المال اللازم لترميمه.. فهل يمكن أن تشملني بعطفك وتزوِّدني بالمال حتى أستطيع إصلاحه؟».

استعجب نابليون، ونظر إليه في ضيق شديد، ثم قال له:

ـ «يا غبي!! أهذه أغلى أمنية لك تريد من الإمبراطور أن يحققها؟! ولكن على كل حال سوف أجعلهم يرمِّمون لك السقف.. والآن ما هو طلبك الثاني؟ ولكن تأكد هذه المرة أن يكون شيئاً هاماً».

عقد الخياط جبينه لحظة، وبعدها انفرجت أسارير وجهه فجأة، ثم قال:

ـ «منذ عدة شهور، حدث أن افتتح خياط آخر محلاً أمام محلي، وهو يهدِّد رزقي، ويكاد يقضي على عملي، فهل من الممكن أن تخلِّصني منه، وتجعله يبحث عن مكان آخر».

صاح نابليون قائلاً:

ـ «يا للبلاهة!! وهو كذلك.. سوف أجعل منافسك يذهب إلى الجحيم، والآن يجب أن تفكر جيداً في شيء يكون هاماً جداً، وتذكّر جيداً، بل وضع نصب عينيك أنه سيكون آخر طلب سوف ألبِّيه لك».

فكر الخياط، ثم قال:

ـ «لو سمحت لي أيها الإمبراطور.. أحب جداً أن أعرف: ماذا كان شعورك حين أخذ الجنديان الروسيان يطعنان المراتب بالحراب؟!».

حينئذ.. استشاط نابليون غضباً، وصرخ في الخياط قائلاً:

ـ «يا معتوه، يا أبله.. كيف تجرؤ أن تطرح مثل هذا السؤال على الإمبراطور؟ لقد حكمتُ عليك بالإعدام رمياً بالرصاص لبذاءتك وإهانتك لي».

استدعى نابليون ثلاثة من الجنود الفرنسيين، الذين وضعوا الحديد في يد الخياط، ثم قادوه بعيداً عن منزله. طوال الليل لم يستطع الخياط أن ينام، وظل يبكي ويبكي، ثم راح يصلّي ويستعد لاستقبال الموت، تاركاً أمره إلى الله، وعند طلوع الفجر ربطوه في شجرة، واصطف أمامه عدد من الجنود، وقد وجّهوا بنادقهم ناحيته.. وبالقرب منهم وقف ضابط في يده الساعة، والجنود ينتظرون أن يعطيهم إشارة البدء لإطلاق النار. نظر الضابط إلى الساعة، ثم بدأ يعد: واحد، اثنين، ث.. ولكن قبل أن يكمل الرقم الأخير، وصل رسول من الإمبراطور، وهو يمتطي فرساً، وأخذ يصيح:

ـ «قف، لا تطلق النار».

نزل الفارس من على الحصان، وتوجه إلى الخياط، وقال له:

ـ «إن الإمبراطور أصدر أمراً بالعفو عنك. وطلب مني أيضاً أن أعطيك هذه الرسالة».

تنفّس الخياط الصعداء.. ثم بدأ يقرأ ما كتبه له الامبراطور:

ـ «كنت تريد أن تعرف ماذا كان شعوري وأنا تحت المراتب والجنديان يطعنانها بالحراب في منزلك؟! أظن أنك قد عرفت الآن!!»[1].

❁ ❁ ❁

٨٠ ـ في أواخر أيام حكم القيصر المستبد نيقولا.. حدث أن سقط يهودي في النهر، وكان على وشك التعرض لخطر الغرق. صرخ اليهودي وهو يرتعد من الخوف:

ـ «النَّجْدة.. النَّجْدة.. إنني لا أستطيع السباحة».

وكان مجموعة من جنود القيصر يتنزّهون على شط النهر.. أخذوا يضحكون، ويسخرون منه، ولم يتحرك أحد منهم لإنقاذ اليهودي الذي كاد

(١) HENRY D, SPALDING, ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR, op.cit. p.5,6,7.

أن يوشك على الهلاك. راح المسكين يستعطفهم ويتوسل إليهم مرة أخرى، وهو يقول:

ـ «أنقذوني.. أنقذوني».

ولكن الجنود استمروا فقط في ضحكهم بصوت عال. وفي المرة الثالثة، عندما طفا فوق سطح الماء راح يهتف:

ـ «يسقط القيصر.. تحيا الثورة».

هنا فقط، وعلى وجه السرعة.. قفز الجنود في الماء وأنقذوه من الغرق، وجرّوه على الشط، وهم يصرخون في وجهه، وهم يقولون:

ـ «سوف نعلمك كيف تحترم اسم القيصر المقدَّس».

ثم انهالوا على اليهودي ضرباً، وهم يأخذون بتلابيبه، ويقودونه إلى السجن[1].

❁ ❁ ❁

٨١ ـ كان الفيلسوف اليهودي الألماني موسى مندلسون صديقاً حميماً للإمبراطور فريديريك الأكبر.

وذات مرة.. تقابل الإمبراطور مع صديقه ومعلِّمه مندلسون، فحيَّا كل منهما الآخر بطريقة تنم عن الود والمحبة، وبعدها وجه الإمبراطور سؤالاً إلى مندلسون بصفته من أحد رعاياه اليهود:

ـ «إلى أين أنت ذاهب؟».

ردَّ عليه مندلسون بصدق تام:

ـ «أنا لا أعرف».

استشاط الإمبراطور غضباً.. لم يتذكر الصداقة التي تربط بينهما، ولكنه تعجب كيف يمزح هذا الرجل اليهودي مع عظمته، ثم كرّر عليه السؤال:

---

(١) HENRY D, SPALDING, ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR, op.cit. p.102.

ـ «سألتك إلى أين أنت ذاهب».

ـ «معذرة لفخامتك.. إنني فعلاً لا أعرف!!».

اشتد غضب الإمبراطور، وفي الحال أمر حراسه أن يلقوا القبض على الرجل الوقح المتغطرس. لكن مع حلول المساء، تضاءل غضبه، فزار الفيلسوف في سجنه، ثم قال له:

ـ «يا مندلسون.. كيف تسمح لنفسك بالمزاح مع ملكك بهذه الطريقة العابثة التافهة؟!».

ردَّ عليه الفيسلوف متعجباً.

ـ «إنني ما كنت أعني المزاح مع عظمتك على الإطلاق.. إنني حقاً لم أكن أعلم أين سأذهب، لقد خرجت في الصباح لكي أتمشى قليلاً، وبلا هدف معين.. ثم استقر بي المطاف في السجن.. هل تريد دليلا أقوى من هذا على أنني فعلاً ما كنت أعرف؟!»[1].

❁ ❁ ❁

(١) HENRY D, SPALDING, ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR, op.cit. p104.

الغرور والاستعلاء

تأصلت في وجدان اليهود صفات الغرور والاستعلاء بكل ما تحمله هذه الصفات من معاني الصَّلفَ والعنجهية، وتضخيم الذات والشعور بالتمايز، والتغنِّي بالعبقرية، وادِّعاء البطولة، والتفوُّق، واحتقار الآخرين.

ويجدر بنا أن نشير هنا إلى أن هذا الشعور قد جاء نتيجة اعتقاد اليهود بأنهم شعب الله المختار، أي أن الله اختارهم من بين البشر وأعطاهم عهده الأبدي كي يكون هذا الشعب سيد العالم والمسيطر الأوحد، لأنه أفضل خلق الله وأسماهم جنساً، وأنقاهم عنصراً.. ولا ريب في أن الله سبحانه وتعالى فضَّلهم على أهل زمانهم كما جاء في القرآن الكريم؛ وكان هذا التفضيل مشروطاً باستقامتهم، كما دلَّت عليه النصوص، ولكنهم لفرط جهلهم، فرحوا بالوعد، ونَسَوا الشَّرْط، فظنُّوا أنهم شعب الله المختار مهما يقترفون من آثام[1]. والفكاهات التالية توضح أن اليهودي بحق ما هو إلا إنسان مغرور حتى النخاع.

❁ ❁ ❁

٨٢ ـ تردَّدت بين الشعب اليهودي أسطورة شعبية من قصص الفولكلور، تحكي عن إمبراطور ضاق من تفوُّق اليهود.. وكان هذا الإمبراطور إنساناً مغروراً، وتافهاً للغاية، كما كان قاسي القلب. حدث ذات يوم أن أصدر

---

(١) لمزيد من التفاصيل انظر: انظر السموءل بن يحيى بن عباس المغربي، بذل المجهود في إفحام اليهود، دار القلم دمشق، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٩، ص٤٦.

مرسوماً يقضي فيه بأن يختار اليهود واحداً منهم لكي يدخل في حوار صامت معه، بحيث لا يستخدم ولا كلمة واحدة أثناء هذا الحوار، وإذا فشل هذا اليهودي في التفاهم بلغة الإشارة باليد؛ فإنه سوف يجلد مائة جلدة بالسوط، كما أنه إذا لم يتقدَّم أحد من اليهود لكي يتحاور مع الإمبراطور، فإنه سوف يعذب جميع اليهود الذين يعيشون في مملكته حتى الموت.

شعر اليهود بحزن عميق ويأس شديد، فلم يكن بينهم واحد على استعداد أن يخاطر بالدخول في هذا الحوار الذي ينطوي على مخاطرة كبيرة، لذلك كانوا على وشك أن ينزل بهم العقاب الجماعي. تطوَّع إسكافي فقير لكي ينقذ شعبه، وقرر أن يواجه الملك في هذا الحوار الصامت. تدفق إلى ساحة القصر عدد كبير من الناس من جميع أنحاء المملكة؛ أغنياء وفقراء، سادة وعبيد، رجال ونساء، وأطفال. وخرج الإمبراطور في ثيابه الغالية الموشَّاة باللآلئ، وحَمْلق في اليهودي وثيابه المهلهلة، وحذائه الممزق ويداه القذرة.

الآن بدأت المباراة..

رفع الإمبراطور إصبعه السبابة إلى أعلى، فردَّ عليه اليهودي الشجاع، وأشار بإصبعه إلى الأرض.. ضم الإمبراطور إصبعه الوسطى والسبابة، وأشار إلى الرجل، فأشار هذا إلى وجهه بإصبعه.. مدّ الإمبراطور يده وأصابعه متفرقة، فما كان من الإسكافي إلا أن رفع قبضة يده في وجه الإمبراطور.

بعد ذلك.. أخرج الإمبراطور زجاجة نبيذ أحمر، بينما أحضر الإسكافي قطعة كبيرة من الجبن الأبيض.. ابتسم الإمبراطور، ثم نهض من مكانه، وقال لوزرائه:

ـ «كافئوا هذا الرجل.. لقد أجاد صنعاً».

اندهش رئيس الوزراء لما حدث، وسأل الإمبراطور أن يفسر له معنى الإشارات، والردَّ عليها، فقال الإمبراطور:

ـ «حسناً، سوف أشرح لكم.. لقد أشرتُ بإصبعي إلى أعلى أريد أن أقول له: إن عددكم أيها اليهود كبير جداً مثل النجوم في السماء، فأشار إلى الأرض يعني: أنهم كثيرون كالرمال التي تطأها الأقدام، ويدوس عليها الناس..

وعندما أشرت إليه بأصبعين، كنت أعني أن هناك إلهين؛ إله الخير وإله الشر، فردَّ عليَّ بأن دفع بإصبعه نحوي يعني أن هناك إلهاً واحداً فقط..

ومددتُ يدي بأصابعي متفرقة، أعني أن اليهود متفرقون، ومشتتون في جميع أنحاء العالم، فجمع قبضة يده دلالة على أنهم رغم ذلك متَّحدون..

وعندما أخرجت زجاجة النبيذ كي أذكِّره بخطاياهم، ردَّ عليَّ بأن أعمالهم بيضاء كالجبن..

وعندما عاد الإسكافي إلى قريته، سألوه عن هذا الحوار الصامت، وطلبوا منه أن يفسِّر لهم ما دار بينه، وبين الإمبراطور، فقال:

ـ «أشار الإمبراطور إليَّ يعني أنه سيعلقني في المشنقة، فأشرت إلى الأرض أعني أنني سألقى به إلى الجحيم..

وأشار إليَّ بإصبعين، أي أنه سيفقأ عيني، فأشرت بأصبعي في وجهه، أي أن عيناً بعين.. ومدّ يده بأصابعه متفرقة، يقصد أنه سوف يصفعني على وجهي، فما كان مني إلا أن جمعت قبضتي ووجهتها نحوه، أريد أن أجعله يفهم أنني سوف أهشم أنفه إذا حاول أن يفعل ذلك.. وفي النهاية عندما رأى الإمبراطور أنني صامد أمامه، وأنني مصرٌّ على أن أتفوق عليه، حينئذٍ.. أدرك أنه من الحكمة أن يقدِّم لي نبيذاً، رمزاً للصداقة، فماذا كنت أفعل؟! لقد قدمت له قطعة من الجبن كانت معي[1].

❁ ❁ ❁

(١) HENRY D, SPALDING, ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR, op.cit. p.13, 14.

٨٣ ـ يحكى أن أحد اليهود كان يناقش مع زوجته في أمر فرعون مصر الذي لم يَفِ بوعده لموسى ورفض أن يعتق بني إسرائيل من العبودية.. فقال لزوجته:

ـ «من المؤكد أن هذا الفرعون في الأصل ابن زنى، وأنه كان ولداً غير شرعي».

استنكرت زوجته هذا الكلام، وقالت له:

ـ يجب عليك أن لا تتحدث بهذه الصورة، فبالرغم من كل شيء هناك حقيقة أكيدة؛ وهي أن الناس جميعاً من نسل آدم وحواء، فنحن جميعاً من أصل واحد حتى فرعون» ردَّ عليها زوجها:

ـ «إنني لا أستطيع أن أنكر ذلك، ولكن لا بدَّ وأن فرعون قد انحدر من نفس النسل الذي انحدرتِ أنت منه!!»[1].

❁ ❁ ❁

٨٤ ـ كان هناك حاخام يقيم في فيينا، وكان هذا الحاخام واثقاً من نفسه، ويرى أنه يمتلك قدرات خارقة، كما يعتبر آراءه وقراراته ونصائحه وكلماته حقيقة واقعة، وكأنها مثل قانون الجاذبية.. وفي أحد الأيام، جاء يهودي إلى بيت الحاخام يسأله أن يعينه على شفاء زوجته المريضة، وأن يصلّي من أجلها، فقال له الحاخام وهو يبتسم:

ـ «لا تقلق أبداً.. عُدْ إلى بيتك، فإنني سوف أوليها كل رعاية وعناية من تلك اللحظة».

وفي اليوم التالي.. رجع اليهودي إلى الحاخام، وقد احمرّت عيناه من كثرة البكاء، وقال:

ـ «يا سيدي الحاخام.. لقد ماتت زوجتي المسكينة بالأمس».

---

(١) HENRY D, SPALDING, ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR, op.cit. p.10.

كان الحاخام لا يزال مقتنعاً بسلطانه، ولديه إيمان راسخ في قدراته، فقال باستغراب واستعجاب:

ـ «ولكن هذا مستحيل!!».

صاح الزوج الحزين:

ـ «لكنها الحقيقة يا سيدي، لقد ماتت زوجتي بالفعل».

ردّ الحاخام:

ـ «كيف حدث ذلك؟! إنني شخصياً صارعت ملاك الموت، وأمسكت به، ثم انتزعت الخنجر من يده، وجرّدته منه».

بكى الرجل فقيدته، وقال:

ـ «سيدي الحاخام.. يبدو أنك لم تصدقني، أؤكد لك أن زوجتي ماتت فعلاً».

ردَّ الحاخام قائلاً:

ـ «حسناً، إذا كانت هذه هي الحقيقة.. فإن الإجابة المنطقية هي أن ملاك الموت وجد نفسه بدون الخنجر الذي انتزعته من يده، لذلك اضطر إلى أن يخنقها»[1].

❁ ❁ ❁

هذا وقد بلغ غرور اليهود إلى أن يتطاولوا على الربِّ سبحانه، ويسخروا من أعماله، فما أسوأ اليهود بين خلق الله، وويلٌ لهم على ما يقترفون في حق الخالق عز وجل، حيث دَرَجوا من قديم الأزل أن يتطاولوا على الرب خالق الكون، ونذكر ما قام به أحبار اليهود من تحريف للتوراة، والعهد القديم، فادَّعوا أنه من عند الله، وما هو من عند الله. كما وصفوا

(١) HENRY D, SPALDING, ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR, op.cit. p.12.

المولى عز وجل بصفات فيها بهتان عظيم، فصوّروه بشراً حقوداً، سريع الغضب، كثير الندم، كما ألصقوا به صفات اليهود الحقيرة، وخصالهم المرذولة من حقد ولؤم وخسَّة وغرور، وغيرها من الصفات الكريهة التي تنطق بالإسفاف والحقارة والافتراء والغثاء، والكذب في وصف المولى سبحانه وتعالى[1].

❁ ❁ ❁

وتسجُل الفكاهات اليهودية التالية مروقاً عن القيم الإيمانية، وتبلغ السخرية مبلغها حين يتدنَّى اليهودي ويقارن أعماله بأعمال الرب، وينتقد أفعاله سبحانه وتعالى، ويصل الغرور به لأن يحقِّر من عمل رب العالمين وخالق الكون، بينما يُعلي شأن عمل يده هو.

٨٥ ـ طلب تاجر ثري من خياط يقطن في ولايته أن يعدَّ له سروالين جديدين، على أن يكون ذلك خلال أسبوع واحد فقط، وحدثه قائلاً:

ـ «أُعرِّفك إنني مضطر إلى أن أرحل خارج الولاية في الأسبوع القادم، وسأظل على سفر لمدة ستة أسابيع في رحلة عمل، وأريد أن أتسلَّم السروالين قبل الرحلة».

لكن الخياط ـ كعادته ـ لم ينجز عمله في الوقت المحدَّد، واضطر التاجر أن يسافر بدونهما.. وبمجرد رجوعه، اتجه فوراً إلى محل الخياط، فاستقبله استقبالاً حاراً، ثم قال له بكل فخر وإعجاب.

ـ «تفضل يا سيدي.. ها هما السروالان، لقد انتهيت من تجهيزهما، إنهما في منتهى الروعة». نظر إليه التاجر في ضيق شديد، وقال له:

ـ «أريد أن أسألك سؤالاً».

ـ «تفضَّل اسأل».

---

(١) محمد علي البار، أباطيل التوراة، م. س. ذ. ص٥.

ـ «كيف استطاع الربُّ أن يخلق الدنيا كلها في ستة أيام فقط، بينما لم تستطع أنت أن تعمل السروالين إلا في ستة أسابيع؟!».

ظهرت علامات الدهشة والتعجب على وجه الخياط، ثم قال:

ـ «أي نوع من المقارنة هذه؟!».

ثم استطرد قائلاً:

ـ «فقط، انظر حولك لكي ترى الفوضى واللخبطة والفساد التي عليها الدنيا التي تم عملها على نحو رديء، وبعدها انظر إلى هذين السروالين اللذين قمت بعملهما، وتأمل في روعتهما وجمالهما وأناقتهما»[1].

❁ ❁ ❁

٨٦ ـ عُيِّن في المعبد حاخام شاب، وكان هذا الحاخام جاهلاً بمعظم الأمور الهامة، وفي نفس الوقت كان يهتم بالأمور الهامشية.. وفي أول يوم له في العمل، حدث أن التقى مع المصلّين، وعندما بدأ منشد المعبد يقول كلمة «الرب»، حينئذ.. وقف جميع المصلين. فغضب الحاخام، وصاح قائلاً:

ـ «ما معنى هذه الوقاحة؟ لماذا وقفتم؟ إنني لم أعط أحداً منكم الإذن للوقوف». قال المنشد:

ـ «سيدي الحاخام.. لقد تعوّدنا على الوقوف عند ذكر اسم الرب لأن..» قاطعه الحاخام قائلاً:

ـ «أجبني فوراً.. من المسؤول هنا، أنا أم الرب؟!»[2].

❁ ❁ ❁

---

(١) HENRY D, SPALDING, ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR, op.cit. p.15.

(٢) لمزيد من التفاصيل اقرأ: لانداو. ديفيد، الأصولية اليهودية ـ العقيدة والقوة، الطبعة الأولى، مكتبة مدبولي، سنة ١٩٩٤.

ضعف الوازع الديني
والتحايل على الشريعة الدينية

يعاني الوازع الديني لدى بعض اليهود من ضعف شديد، فقد دَرَجوا على عدم احترام تعاليم التوراة، واختيار ما يروق لهم في بعضها، وغضِّ البصر عما لا يروق لهم، أو يتعارض مع مصالحهم ومطامعهم.

وهنا قد يتساءل البعض متعجباً، ويقول: «كيف يمكن القول بأن الشخصية اليهودية تتسم بضعف الوازع الديني على الرغم من أن دولة إسرائيل ـ كما هو معروف ـ قد قامت أساساً على الدين؟!»

ببساطة شديدة جداً.. نستطيع الردَّ على هذا السؤال إذا تطرقنا إلى دراسة الحياة اليهودية منذ القرن التاسع عشر، وحتى يومنا هذا؛ حيث نجد أنها تتميز بوجود تيارات واتجاهات ومذاهب متعددة، منها التيار الديني المتطرف الذي يغالي أصحابه في الالتزام بتطبيق الشريعة اليهودية بكل حذافيرها دون إعمال من العقل أو الفهم، ونذكر منهم جماعة «ناطوري كارتا»، ومنهم أيضاً «الحسيديم» الأتقياء. وهناك الاتجاه المتشدِّد الذي يتبناه «الحريديم» الذين يُطلق عليهم الأصوليون المحافظون على تعاليم الشريعة اليهودية، ومنفذين للهالاخاه[1]، ومنهم الأصوليون المعتدلون الذين يقومون بتطبيق شرائع الهالاخاه، ولكنهم قد يغضُّون النظر أحياناً عما لا يجب فعله

(١) الهالاخاه: تعاليم التوراة.

إذا كانت الظروف تقتضي ذلك. والظريف أن «ديفيد لانداو» في كتابه «الأصولية اليهودية»[١] قد أتى لنا بأمثلة عديدة توضح لنا كيف أن اليهود يتحايلون على تنفيذ أوامر الشريعة اليهودية، ولكنهم في الحقيقة يحاولون الاستفادة من تطور تكنولوجيا العصر، وفي ذلك يقول «ديفيد لانداو»: «إن اليهود الأصوليين يلتزمون بتعاليم الشريعة اليهودية بطريقة تبعث على الضحك من فرط غرابتها، فهم يوهمون أنفسهم أنهم ينفذون أوامر الشريعة اليهودية، ولكنهم يريدون قليلاً من الراحة الحديثة، ويتطورون مع الزمن، فعلى سبيل المثال يستخدمون في منازلهم ومعابدهم الأدوات الكهربائية المختلفة كما يحلو لهم، ولكنهم يضبطونها قبل يوم السبت، مثل المصاعد التي يتم ضبطها كي تقف في كل دور دون الاضطرار للضغط على مفاتيح المصعد والتي تعد ممنوعة يوم السبت».

ويوضح الأستاذ الدكتور «رشاد الشامي» في كتابه «القوى الدينية في إسرائيل بين تكفير الدولة ولعبة السياسة»[٢] كيف أن اليهود العلمانيين الصهيونيين أخذوا يتاجرون باسم الدين اليهودي لاستقطاب اليهود غير العلمانيين، ويعرض الكتاب للقوى الدينية اليهودية داخل إسرائيل واختلاف اتجاهاتها وأيديولوجيتها.

أما الأستاذ الدكتور «إبراهيم البحراوي» فقد عرض في كتابه «الدين والدنيا في إسرائيل»[٣] نماذج قصصية من الأدب العبري لقضايا تمثل الصراع بين التيار الديني والتيار العلماني في الحياة اليهودية.

---

(١) لمزيد من التفاصيل اقرأ: لانداو. ديفيد، الأصولية اليهودية ـ العقيدة والقوة، الطبعة الأولى، مكتبة مدبولي، سنة ١٩٩٤.

(٢) لمزيد من التفاصيل انظر: الشامي. رشاد (د)، القوى الدينية في إسرائيل بين تكفير الدولة ولعبة السياسة، سلسلة عالم المعرفة، العدد ١٨٦ يونيو، سنة ١٩٩٨.

(٣) لمزيد من التفاصيل انظر: البحراوي، إبراهيم، الدين والدولة في إسرائيل، كتاب الهلال، العدد ٥٦٩، مايو، سنة ١٩٩٨.

والآن هيّا بنا نقرأ من الأدب الشعبي اليهودي، بعضاً من الفكاهات التي وردت في موسوعة الفكاهة اليهودية، لنرى كيف يتفنّن اليهود في التحايل على تنفيذ أوامر الشريعة، ويتبعون المنطق اليهودي الذي يعمل على تحليل الحرام، وتحريم الحلال بما يناسب هواهم.

❁ ❁ ❁

٨٧ ـ جاء طالبان يدرسان التلمود إلى الحاخام، وهما مثقلان بالهموم، وعلى وجهيهما حمة الخجل.. وقال أحدهما:

ـ «لقد ارتكبنا خطيئة».

ـ «خطيئة!! أي نوع من الخطايا ارتكبتما؟».

ـ «لقد نظرنا إلى امرأة بشهوة ورغبة».

ـ «ربما يغفر لكما الرب.. ولكن ذلك يتطلّب أن تكفّرا عن هذا الإثم».

قال الطالبان بتذلل:

ـ «ما سبيلنا إلى ذلك، وماذا يجب علينا أن نفعل لكي نكفر عن خطيئتنا؟» ردَّ عليهما قائلاً:

ـ «حسناً.. عليكما إذن أن تنزلا عقوبة ذاتية تكفيراً عن خطيئتكما، لذلك فأنا آمركما أن تضعا حبات من الفول في أحذيتكما، ثم تسيرا بها على هذه الصورة عشرة أيام، فربما يعلمكما ذلك ألا ترتكبا الخطيئة مرة أخرى».

رجع الشابان إلى منزليهما، وفعلا ما أمرهما به الحاخام، وبعد أيام قليلة تقابل الشابان النادمان التائبان في الشارع أحدهما كان يعرج في سيره ويتألّم، والآخر معافى تماماً يمشي في سهولة، هادئ الأعصاب مسروراً.

توجه الطالب الأول بسؤال إلى الطالب الثاني:

ـ «ألم تطع أوامر الحاخام؟!» أرى أنك تجاهلت تعليماته، ولم تضع حبات الفول في حذائك».

ردّ عليه الطالب الآخر مبتهجاً:

ـ «بلى، إنني لم أتجاهلها على الإطلاق، إنني فقط طهوت حبات الفول قبل أن أضعها في الحذاء»[1].

❁ ❁ ❁

٨٨ ـ علم الحاخام أن ثلاثة من تلاميذه كانوا يلعبون القمار يوم السبت، فاستدعاهم الحاخام وعنفهم وسألهم:

ـ «كيف فعلتم ذلك الأمر».

قال الطالب الأول:

ـ «آسف جداً يا سيدي الحاخام، لكن بكل بساطة، فإنني قد نسيت أنه كان يوم سبت».

ـ «حسناً.. لكن لا تدع هذا الأمر يحدث مرة أخرى».

وقال الطالب الثاني:

ـ «إنني حقاً خجلان من نفسي.. لكن في الحقيقة أنني نسيت أن المقامرة محرمة يوم السبت».

ـ «هذا أيضاً ممكن.. ربما نسيت بالفعل، لكن لا تكرر هذه الخطيئة مرة ثانية.

اقترب الحاخام من الطالب الثالث ـ وكان هو صاحب الشقَّة التي لعب فيها الطلاب القمار يوم السبت ـ وسأله:

ـ «وأنت ما عذرك؟ لا شك أنك أنت أيضاً نسيت شيئاً ما».

ـ «نعم يا سيدي.. لقد نسيت أن أغلق النوافذ وأسدل الستائر قبل لعب القمار»[2].

❁ ❁ ❁

(١) HENRY D, SPALDING, ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR, op.cit. p.2,3.

(٢) HENRY D, SPALDING, ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR, op.cit. p.91.

٨٩ ـ ذهب سام بنسون اللص المعروف في مدينته إلى الحاخام، وقد حمل معه كيس نقود، وقال له:

ـ «سيدي.. لقد عثرتُ على كيس مملوء بالنقود، وأريدك أن تساعدني على أن أعيده إلى صاحبه».

اندهش الحاخام من تصرف اللص، وقال له:

ـ «وهو كذلك.. سوف أعلن عنه في المعبد، وبلا شك سيتقدم صاحبه ليستعيده».

وبعد أن غادر بنسون المكان بدقائق، اكتشف الحاخام أن ساعته قد فقدت، وفي الحال أرسل الشماس وراءه لكي يعود به؛ لأنه كان واثقاً تمام الثقة، ومتأكداً من أن بنسون هو الذي سرقها، وأنه سوف يعثر عليها في جيبه. وعندما جاءوا به، قال له الحاخام:

ـ «إنني في ذهول مما فعلتَ، ها أنت تعيد كيساً مملوءاً بالنقود، ثم تسرق ساعة ثمنها لا يزيد على خمس دولارات فقط.. إنني لم أفهم معنى هذا التصرف على الإطلاق».

أجابه بنسون قائلاً:

ـ «ماذا تريد أن تفهم يا سيدي؟! فعندما حضرت كي أعيد شيئاً مفقوداً، فإنني بذلك أنفذ تعاليم الشريعة، وأوامر الدين اليهودي، ولكن سرقة الساعة فهذا عمل، والدين أيضاً يحثُّ على العمل!!»[1].

❁ ❁ ❁

٩٠ ـ ذهب حاخام إحدى المدن إلى أحد الأثرياء من مُلَّاك الأرض يسأله إعانة للفقراء من اليهود، فقال له المالك الثري:

ـ «لماذا أعطي اليهود إذا كان ديني لا يعجبهم، وعقيدتي لا ترضيهم، فقد يكونون عازفين أيضاً عن نقودي وأموالي؟!!».

---

(١) HENRY D, SPALDING, ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR, op.cit. p.75.

ردَّ الحاخام بلطف ورقة قائلاً:

ـ «سيدي.. إن الذين يزرعون لك أرضك كلهم من اليهود، وعلى ذلك فهم مصدر ثروتك، أما فيما يتعلق بديانتك، فدعني أقدم لك الحل على النحو التالي: إننا قد لا نأكل لحم الخنزير، ولكن ليس هناك في تعاليمنا ما يمنعنا من أن نرتدي حذاءً من جلده»[1].

❁ ❁ ❁

٩١ ـ جاء يهودي مخطئ يسأل الحاخام سؤالاً غريباً إذ قال له:

ـ «سيدي.. لقد ارتكبت كل الآثام، وانتهكت تعاليم الشريعة، ودنَّست أوامر التوراة التي استطعت أن أتذكرها، ولكني أخشى أن يكون قد فاتني شيء أو شيئان».

ـ «وماذا تريد مني أن أفعله؟!».

ـ «إنني سوف أعدِّد لك المعاصي التي ارتكبتها، فإذا وجدت أنني نسيت أياً منها، فدلَّني عليها كي أفعلها قبل أن أتوب».

استمع الحاخام إلى الرجل المخطئ ـ الذي أخذ يسرد قائمة طويلة من الأعمال السيئة التي ارتكبها ـ وهو مفزوع جداً كما لو كانت قد أصابته الصاعقة. وبعد أن انتهى الرجل من اعترافاته، تنهَّد الحاخام، ثم قال له:

ـ «نعم، هناك شيء حرَّمه الدين اليهودي وفاتك أن ترتكبه».

ـ «ما هو؟!».

ـ «أن تذهب وتنتحر على الفور»[2].

❁ ❁ ❁

---

(١) HENRY D, SPALDING, ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR, op.cit. p.76.

(٢) HENRY D, SPALDING, ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR, op.cit. p.59.

احتقار يهود الجيتو

من المعروف أن اليهود عاشوا قروناً طويلة في حدود مناطق الاستيطان التي كانت مقرَّرة لسكناهم في بلدان أوروبا الشرقية داخل أسوار الجيتو التي تحبسهم عن الاتصال بالعالم الخارجي، وتعزلهم عما فيه من فلسفات ومعارف حديثة[1]. هذا وقد اعتاد اليهود على التندُّر على أولئك الذين عاشوا داخل أسوار الجيتو سواء في بلدان شرق أوروبا أو البلاد العربية، وراحوا ينتقدون جهلهم، وابتعادهم عن معرفة حضارة الشعوب الأخرى.. وقد اخترت من الفكاهات اليهودية ما يمثل هذا الاتجاه:

٩٢ ـ خلافاً لكل يهود العالم، كان يهود اليمن يعيشون في عُزلة، متخلِّفين عن الاتجاه السائد، بعيدين عن الحضارة والتمدن.. وقد حدث أن كان هناك زوجان شابان يعيشان في قرية صغيرة في منطقة نائية، وكانا جاهلين حتى بأغلب الأشياء النافعة والمفيدة والمألوفة في المجتمع الحديث. وفي ذات يوم سافر الزوج إلى المدينة لكي يدفع الضرائب، وقبل سفره قبلته زوجته، ثم ودَّعته بعبارات رقيقة. قرر الزوج أن يشتري هدية لزوجته الحبيبة من المدينة الكبيرة. فسألها وهو يبتسم:

ـ «ماذا تريدين أن أشتري لك يا حبيبتي».

ـ «آه.. أي شيء يكون في جمال القمر».

---

(١) لمزيد من التفاصيل اقرأ: صبري. سناء عبد اللطيف، الجيتو اليهودي، م. س. ذ.

وبعد أن قضى الرجل مهمته، أخذ يتجوَّل في المدينة، وقد ملأته الدهشة من المناظر التي رآها في العاصمة. تذكَّر طلب زوجته، فذهب إلى السوق الكبير. في البداية أصيب بالدهشة والحيرة من كثرة البضائع، ولكنه في النهاية وجد الشيء المطلوب.. إنها مرآة مستديرة الشكل تشبه القمر، فاشتراها. وعند عودته لقريته، قدَّم المرآة كهدية لزوجته. أخذت تقلبها وتفحصها جيداً وهي في حالة من الدهشة والتعجب، وفجأة رأت صورة فتاة جميلة في المرآة، نظرت إليها لحظة في فزع، ثم جرت نحو أمها وقالت لها وهي تصرخ:

ـ «أمي.. أمي.. إن زوجي لم يعد يحبني بعد، لقد أحضر معه من المدينة امرأة جميلةً جداً».

سألتها أمها وهي تنظر حولها:

ـ «أين هي؟! أين هي؟!».

ردَّت الزوجة وهي تتنهَّد:

ـ «هنا، انظري ها هي».

أخذت الأم المرآة ونظرت فيها، ثم رجعتها لابنتها وهي تضحك ضحكاً متقطِّعاً، وقالت لها:

ـ «صدِّقيني يا بنيتي.. لا داعي للقلق والانزعاج أبداً، فمن المستحيل أن يكون هناك إنسان عاقل يمكن أن يترك امرأة في مثل جمالك، ويفضل عليها العجوز الشمطاء»[1].

❁ ❁ ❁

٩٣ ـ عاش يهودي يُدعى زوسمان في قرية صغيرة تبعد خمسين ميلاً عن أوديسا. لم يرَ في حياته مدينة كبيرة قط، وكان جاهلاً حتى بالأشياء العادية

(١) HENRY D, SPALDING, ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR, op.cit. p.5.

والمألوفة لدى الشعوب الأخرى. وذات يوم.. عاد الحاخام من أوديسا ومعه جريدة كان قد اشتراها من هناك. رأى زوسمان الجريدة لأول مرة في حياته، فانبهر بها، وكان إعجابه بها شديداً جداً؛ حتى إن الحاخام أعطاها له كهدية. وعندما رجع إلى بيته، نادى على زوجته، وقال لها:

ـ «انظري ماذا أحضرتُ لك؟».

ثم أخذ هو وزوجته يتصفحانها في ذهول، ولكنهما لمحا في أحد الإعلانات صورة رجل يلبس على رأسه قبعة من القش، ويرتدي في يده قفازين، فأدهشهما ذلك، وعلّق زوسمان قائلاً:

ـ «إن هذا لشيء غريب للغاية!! إذا كان هذا الرجل في فصل الشتاء، فلماذا إذن هو يرتدي قبعة من القش؟! وإذا كان في فصل الصيف، فلماذا إذن يرتدي قفازين في يديه؟!»؟.

قالت زوجته:

ـ «أنا لا أعرف.. ربما كان هذا الأمر له علاقة بأحد الطقوس السرية الخاصة بالحياة في المدن الكبيرة».

أخذ زوسمان يتأمل الصورة، ويفكر ملّياً، ثم قال:

ـ «آه، لقد عرفت.. إنه في فصل الصيف، لذلك فهو يرتدي قبعة من القش، وهو يرتدي القفازين لأنه سوف يخرج كي يقطف بعض الثمار من وسط الأشواك»[1].

❁ ❁ ❁

(١) HENRY D, SPALDING, ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR, op.cit. p.23, 24.

الفصل الرابع

طبائع اليهود بين الماضي والحاضر

يقول عالم النفس الاجتماعي ليبمان lippman: «إن هناك اتجاهات يطلق عليها اصطلاح «stereatyped attitudes» أي اتجاهات جامدة، أو نمطية، صعبة التغيير، شبه ثابتة، وهذه الاتجاهات النفسية لجماعة ما تكون معروفة، ومميزة تماماً لهذه الجماعة، وهي على حدٍّ قول ليبمان تكون أشبه برسوم داخل النفوس يصعب تعديلها»[1].

والاتجاهات النفسية الجامدة التي عرفت عن اليهود والتي تعتبر محدِّدات موجهة ضابطة لسلوكهم الاجتماعي تنطق بالخسَّة والتدنِّي؛ فقد تردَّدت على ألسنة شعوب العالم أن شخصية اليهودي مُعْوجَّة وملتوية، وأن أنفسهم مريضة مليئة بالحقد والغرور، وأنهم أحطُّ البشر، وأرذل خلق الله.. والفكاهات التي تضمنتها موسوعة الفكاهات اليهودية، والتي أوردنا نماذج منها، دلَّلت على ما وُسموا به.

وبعد أن عرضنا لطبائع اليهود وسلوكهم من خلال أحد الموروثات الشعبية اليهودية.. هناك سؤال ملحٌّ يطرح نفسه على مائدة البحث وهو:

هل هناك فرق بين طبائع وأخلاق اليهود في الماضي والحاضر؟

ولكي نعالج هذا السؤال يتحتَّم علينا أن نلقي نظرة سريعة على سلوك

---

(١) فوزي محيي الدين، دراسة عن الاتجاهات النفسية والسلوك الاجتماعي، مايو سنة ١٩٨٢ ص٦.

اليهود اليوم، سنجد أن تصرفاتهم ترسم خطوطاً كاشفة تصور أمراضهم الخلقية وطبائعهم السيئة... ودون الدخول في التفاصيل، فإن الجعبة الإسرائيلية لا تكف عن إخراج الخطط تلو الخطط، وإصدار القانون بعد الآخر من أجل سلب ونهب الأراضي الفلسطينية والسعي إلى ابتلاع أكبر مساحة ممكنة من الأراضي العربية، ويتخذون لذلك أساليب متعددة، وحجج وذرائع، ومسمَّيات كثيرة أذكر منها على سبيل المثال وليس الحصر: قانون مصادرة الأراضي لدواعي الأمن الإسرائيلية، وقانون حماية الآثار اليهودية والرموز الدينية في فلسطين، وقانون مصادرة أملاك الغائب، وقانون المنفعة العامة للدولة، وخطة ليبرمان، وخطة رونين، والنجوم السبعة... وغيرها من الخطط التي تستهدف مصادرة الأراضي العربية والاستيلاء عليها، وبناء المستوطنات اليهودية، وفرض طابع التهويد على كل شيء، وتنفيذ سياسة الخلع والإحلال؛ أي خلع العرب وإحلال اليهود مكانهم، بهدف فرض سياسة الأمر الواقع..

ويسلك اليهود لتنفيذ هذه الخطط كل ما يخطر على البال وما لا يخطر، فيقومون بطرد العرب تارة، وتعذيبهم، وسجنهم تارة أخرى. أما قتل العرب فيمثل بالنسبة لهم لذة ما بعدها لذة، فهم يريدون أن يبتلعوا العرب وما يملكون مثل سمكة القرش التي تبتلع كل شيء أمامها.

وعندما أدرك اليهود جيداً أن العرب لم ولن يفرِّطوا في أراضيهم، ولم يسمحوا لهم بالسيطرة عليهم، وعندما وقف لهم بالمرصاد أطفال الحجارة الفلسطينيين.. عندئذ فقط، تراجع اليهود عن مواقفهم وقبلوا السلام مع العرب رغماً عنهم، ولكن.. السلام على الطريقة الإسرائيلية؛ أي سلام مقابل السلام، لا سلام مقابل الأرض. وهنا أخذوا يمارسون طبعهم في المراوغة، وليٍّ عنق الحقيقة كعادتهم، فالمنطق يقول أن السلام يجب أن يسود أولاً، والسلام يتطلب أن يأخذ صاحب كل ذي حق حقه، وأن تعود الأرض إلى أصحابها، وبعد ذلك يأتي الأمن والاستقرار؛ لأن المنطق يقول

أيضاً أن المقدمات تتلوها النتائج، ولكن اليهود يضعون الأمن في المقدمة، والسلام في الخلف كمن يضع العربة أمام الحصان.

ولا يزال بنيامين نتنياهو وغربان حكومته يراوغون العرب، ويحاولون التملُّص من اتفاقياتهم.. والشيء المضحك حقاً أننا نجد اليهود بارعين في توزيع الأدوارِ في مسرحية مفاوضات السلام؛ فقد حاول نتنياهو أخيراً أن يحسِّن من وجهه القبيح بعد أن تشاكَى الرأي العام العالمي من تعنته وتعسفه وصَلَفه، فإذا به يأتي بشارون ـ مجرم الحرب السابق الذي يصرِّح بأنه يحتقر بل ويكره العرب ـ ليقوم بمواصلة المفاوضات في عملية السلام والتحاور مع العرب.. ولنا أن نتخيل مقدّماً ما سيفعله شارون!!.

ولا يفوتنا هنا حين نتحدث عن طبائع اليهود اليوم أن نشير إلى عبادتهم للمال، وحرصهم عليه، وتكريسهم لقانون التعويضات؛ حيث تشن الحكومة الإسرائيلية الآن حملة مسعورة من أجل الحصول على تعويضات عما لاقاه اليهود من اضطهاد أثناء شتاتهم.. فبالرغم من أن هذه الأحداث قديمة، ومرَّت عليها سنوات طويلة، إلا أنهم لا يملُّون الحديث عن هذا الموضوع، ويقوم اللوبي الصهيوني ببذل المجهود في إفحام العالم وإقناعهم بضرورة دفع هذه التعويضات.

وتشهد ألمانيا ـ بوجه الخصوص ـ والنمسا وسويسرا وإيطاليا عمليات ابتزاز رهيبة، يقوم بها محامون أمريكيون وإسرائيليون كوَّنوا جماعة تُدعى «الحقوق اليهودية» يطالبون بتعويضات.

ومن المضحك حقاً ما قيل من أنهم يدَّعون ملكية بعض المباني في ألمانيا، ويقولون إنها كانت تخصُّ يهوداً لقوا مصرعهم في غرف الغاز، وأن يهودياً ألمانياً قد عثر في مخلّفات أسرته على كشف حساب من مصرف ألماني بتاريخ ديسمبر سنة ١٩٤٠، وجاءت يهودية ألمانية أخرى عمرها حوالي ٨٥ سنة، وتذكر أنه كان لأسرتها حساب في البنك نفسه، ولكن لا يوجد لها مستند يؤكد ذلك، وتتوالى الادِّعاءات على مصارف أخرى في

ألمانيا. ويقال إن في شهر يونية سنة ١٩٩٨ أقيمت دعاوى تعويض جماعية تطالب المصارف الألمانية بدفع ١٨ ملياراً من الدولارات إلى ضحايا اليهود.

ومما يذكر أيضاً في هذا المضمار ويثبت أن الجشع اليهودي لا يعرف أي حدود، ما صرح مسؤول ألماني كبير أخيراً بأن الاتفاق الذي كان قد تمّ بين أديناور وبن جوريون حول التعويضات الألمانية للضحايا اليهود خلال الحرب العالمية الثانية كان ينص أن تدفع الحكومة الفيدرالية الألمانية حوالي ٩٠٠ مليون مارك ألماني تسدَّد على أقساط سنوية، ولكن الذي حدث أن بلغ مجموع ما دفعته ألمانيا حتى الوقت الحاضر يقدر بحوالي ١٥٠ مليار مارك ألماني سدِّدت كلها بطرق حسابية معقدة ظهرت في الموازنة العامة للدولة.

ومن المضحك أيضاً أن نقرأ أن المحامين اليهود يطالبون شركة «ديجوسا» بحوالي ١٥٠٠ مليون دولاراً أمريكياً، لأن تلك الشركة كانت تنتج الغاز الذي استخدم في المحارق التي يزعم أنها شهدت إعدام ستة ملايين يهودي.

من ناحية أخرى فقد بدأ اليهود في الضغط على المصارف السويسرية بحجة المطالبة بالذهب والودائع التي كانت مودعة في الحسابات السرية لليهود في تلك المصارف قبل نزوحهم من سويسرا هرباً من النازيين، ويذكر أن اليهود تمكنوا من الحصول من المصارف السويسرية على ١٢٥٠ مليون دولاراً، تم إيداعها في صندوق يطلق عليه «صندوق العدالة لضحايا النازية»[١].

وبعد ما تقدم.. أظن أن تكون إجابة السؤال الذي طرحناه آنفاً بالنفي، أي أن طبائع اليهود لم تتغيَّر، ولا يوجد هناك أي فرق بين أخلاقهم

---

(١) عبد العظيم. لطفي، مقالة بعنوان «نحو صندوق قومي للحق العربي المسلوب» جريدة الأهرام القاهرة ١٧/ ١٠/ ٩٨ ص١٠.

في الماضي وبين أخلاقهم في الحاضر، حيث احتفظت الغالبية العظمى منهم بخصائصها الشخصية وسلوكها وطبائعها وأخلاقها واتجاهاتها على مدى الحياة، ولم تتأثر بالعوامل الاجتماعية والفكرية والحضارية المحيطة بها إلا في نطاق محدود، أي أن العوامل الوراثية والعقائدية التراثية قد اتخذت شكل الثبات في الشخصية اليهودية، وقد تجلّى ذلك في رؤية اليهود لذاتهم من خلال دراسة فكاهاتهم التي عكست هذا الأمر جلياً. وهذا ما يؤكد قول الأستاذ الدكتور رشاد الشامي: «إن الهوية اليهودية هي مجموعة من المؤثرات الثابتة تتمثل في عدد من المعتقدات الدينية والخبرات التاريخية، والمفاهيم التراثية التي تؤدِّي إلى خلق مجموعة من الأشخاص يشتركون في سمات واسعة مع غيرهم، وإن اختلف بعضهم عن بعض في درجة اتسامهم بهذه السمات النمطية التي تخلق الهوية اليهودية المتميزة»[1].

وبناءً على ما سبق نؤكد أن سمات الشخصية اليهودية إنما هي رواسب عصور تأبَى أن تزول أو تتغير معالمها على مر الزمان، وأن طبائع اليهود تتميَّز بالالتزام بالثوابت التي تدوم وتسير على وتيرة واحدة مهما تغيَّرت الأحوال وتبدَّلت الظروف.

(١) الشامي، رشاد (د)، الشخصية اليهودية في أدب إحسان عبد القدوس، م. س. ذ. ص٥٨.

الفصل الخامس

سمات الفكاهة اليهودية

تتميز الفكاهة اليهودية شأنها في ذلك شأن أي فكاهة بأي لغة أخرى بأنها تركيبة لغوية معقَّدة؛ فالنكات كلها وبصفة عامة تهدف إلى هدف واحد وهو الوصول إلى الحل اللغوي الذي يدركه السامع، أو متلقِّي النكتة. وتتميز النكتة أيضاً بالتلاعب بالألفاظ الذي من شأنه أن يضع معنى مزدوجاً؛ فهناك المعنى الظاهر الذي لا يثير الضحك إذا استعمل استعمالاً مألوفاً، والمعنى الخفي الذي لا يثير الضحك إلا لكونه مرتبطاً بالمعنى الأول[1]. وهذا الأمر ينطبق تماماً على النكتة اليهودية؛ فقد يظل الكلام غير مفهوم إلى أن يجد السامع الحل في نهاية الحوار عن طريق إدراك المعنى المزدوج الذي يهدف إلى إدراك العبث أو إدراك متناقضات الحياة وعيوب الشخصية.

وعن بناء الفكاهة اليهودية لوحظ ما يلي:

- تسلك النكات اليهودية مسلك القصة في بنائها؛ حيث نجد في النكتة حدُّوتة تنطوي على عناصر القصة كالزمان والمكان والموضوع والشخصيات، ولذلك يمكن إدخال غالبية النكات اليهودية تحت تصنيف النوادر أو القصة الفكاهية التي تتركز حول موقف يعكس صورة من صور الحياة.
- تغرق بعض الفكاهات أحياناً في تفصيلات واستطرادات ثانوية لدرجة أن الفكرة الأساسية تتضاءل ويصعب اكتشاف المعنى الذي تنطوي عليه النكتة أو القصة الفكاهية.

---

(١) إبراهيم. نبيلة (د)، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، م. س. ذ. ص٢٤٦.

● كثير من الفكاهات اليهودية تحمل مضامين جادة تهدف إلى غرس مبادئ أخلاقية يهودية، وأفكار معينة، واتجاهات أيديولوجية محددة، وبناء على ذلك فهي لا تبعث على الضحك، ولا تثير المرح في نفوس متلقيها.

● تتميز أغلب الفكاهات اليهودية التي وردت في «موسوعة الفكاهة اليهودية» بوجود مقدمات، وتتنوع هذه المقدمات فقد تكون حكمة، أو قولاً مأثوراً، أو تقرير واقع تاريخي، وخاصة عن اضطهاد اليهود في بلد ما، أو وصفاً للشخصية التي تدور حولها النكتة مثل الثري البخيل، الإمبراطور قاسي القلب، الشحَّاذ السليط اللسان، المريض المخادع، الحاخام التقي الورع... إلخ.

وإذا تحدثنا عن البطل في الفكاهة اليهودية نستطيع أن نقول:

لقد تنوعت الشخصيات التي لعبت أدوارها في الفكاهات التي وردت في الموسوعة على النحو التالي:

● **أولاً:** شخصيات يهودية تمثل واقع المجتمع اليهودي مثل: الحاخام، طالب اليشيفا، الحازان، الشمَّاس، اليهودي الغني، اليهودي الفقير، الشحاذ، التاجر، البائع المتجول، الخياط، يهودي الجيتو المتخلف، العالم اليهودي... إلخ.

● **ثانياً:** شخصيات غير يهودية موسومة بصفات سلبية بقصد التشنيع عنها، أو التنديد والسخرية منها. كما تضم الفكاهات أحياناً شخصيات حكام في البلاد التي عاش فيها اليهود في شتاتهم، وبالذات الحكام الذين اتَّسموا بالشدَّة كي يروجوا مقولة الظلم الذي وقع عليهم والاضطهاد الذي حاق بهم.

أما عن الأماكن التي دارت في فلكها معظم فكاهات الموسوعة:

فقد دارت معظمها في أوربا الشرقية، داخل حدود الاستيطان اليهودي. من ناحية أخرى فقد دارت حول المنزل والمعبد اليهودي باعتبارهما الركيزتين اللتين تتمحور حولهما الحياة اليهودية بصفة عامة.

نتائج الدراسة

● تعلن موسوعة الفكاهة اليهودية ـ بما تحتويه من نكات كتبها أو جمعها واحد منهم ـ عن اعترافات هذا الشعب بخصاله الشائنة وطباعه السيئة، وأخلاقه الشاذَّة والتي تمثَّلت في البخل الشديد وعبادة المال، الغش والطمع والتزييف، التطفُّل والشحاذة، تعظيم قانون التعويضات، السرقة واللصوصيَّة، الحسد والحقد، الرِشْوة، الكذب والنفاق والرياء والمبالغة، الخيانة والخداع والمكر والدهاء، الجدل والمراوغة، التآمر والاغتيال والقتل، الشعور بالاضطهاد، الغرور والاستعلاء، ضعف الوازع الديني والتحايل على الشريعة الدينية، احتقار الغير...

● تعتبر السمة العامة للذَّات اليهودية في مرآة فكاهاتهم بالغة القبح؛ فطبائع الشخصية اليهودية في مجملها طبائع معيبة، بها أمراض خطيرة وثابتة مثل البقع السوداء التي تظل عالقة في شخصيتهم.

● إنَّ هناك خطوطاً عريضة تتشابه في طبائع وأخلاق اليهود ظهرت في الفولكلور النابع من يهود أوروبا الشرقية، أو أوروبا الغربية، أو حتى يهود البلاد العربية.

● إن اليهودي هو اليهودي مهما تغيَّرت ظروفه وتبدَّلت أحواله، فسِمات شخصيته كما هي لم تقوَّم ولم يحدث فيها أي نوع من التغيير منذ قديم الزمان وحتى يومنا هذا، وكأنهم قطعوا على أنفسهم عهداً أن يتوارثوا هذه الخصال والطباع السيئة جيلاً بعد جيل، بل ويحافظون عليها إلى يوم الدين.

● يبدو أن التشدُّق بالمعاناة اليهودية قد أصبح بمثابة مرض خطير يسري في الجسد اليهودي كالسرطان الذي لا يمكن للجسم أن يتخلَّص منه، لدرجة أن اليهود يصوِّرون هذه المعاناة، ويحكون عنها في فكاهاتهم، وكأنهم يتلذَّذون بالحديث عن الألم، ويتعمَّدون أن تظل ذاكرتهم حيَّة دائماً بهذا الخصوص حتى في أوقات مرحهم، ولم يستطيعوا التخلُّص من هذه الفكرة أبداً.

● يُلبس اليهود فكاهاتهم لباساً محلياً بحتاً؛ ويتجلَّى ذلك في نوعية الموضوعات والشخصيات والأماكن... إلخ، ويتميز الإنتاج الأدبي الفكاهي اليهودي بأنه مصنوع داخل الجماعة اليهودية، ويمكن فهم دلالات أشكاله في ضوء التراث اليهودي ورموزه الأساسية.

● أثبتت دراسة «موسوعة الفكاهة اليهودية» التي بين أيدينا أن هناك فكاهات يهودية تنتمي إلى العصور الوسطى والقديمة، وهذا هو ما سعى كاتب الموسوعة إلى إثباته كنوع من التأكيد على أن اليهود شعب له تاريخ وفولكلور وأساطير شعبية وتراث قديم رغم تشتتهم.

● يتضح من دراسة فكاهات الموسوعة أيضاً تأثر اليهود بثقافات الشعوب الأخرى، وهو ما يعرف في علم الأنثروبولوجية الثقافية باسم «التثقيف من الخارج»؛ فقد حدث أن استعار اليهود من ثقافات الشعوب التي عاشوا بين ظهرانيها، ثم أعادوا إفرازها وصياغتها من جديد متفاعلة مع مخزونهم الثقافي، وإطارهم المرجعي، فاختاروا من ثقافات الشعوب الأخرى ما يتناسب مع عناصرهم الثقافية الشائعة، ثم أجرَوا عليها تبديلاً وتغييراً وتعديلاً في عملية السرد حتى تتلاءم مع اتجاهاتهم وأفكارهم.

● هناك فكاهات تستمد موضوعاتها من الحياة اليومية اليهودية، وتعتبر تصويراً دقيقاً لحياتهم الاجتماعية والاقتصادية والدينية والثقافية.

● من الملاحظ أن موضوع البخل يحتل مكان الصدارة في الفكاهات اليهودية؛ حيث يوجد عدد كبير منها وجَّهت سهامها ضد البخلاء، ويمكن

تفسير ذلك بأن البخل هو أخطر طبائع اليهود وأوسعها انتشاراً بينهم، وأن هذه النسبة العالية من الفكاهات إنما تعكس الشعور بالكراهية والمرارة التي علقت بالوجدان الشعبي من بخل الأغنياء، فوجد اليهود الفقراء من الشعب في فكاهاتهم متنفَّساً كي يخلعوا عليهم صفات تنمّ عن كراهيتهم لهذا الطبع.

● توجه الفكاهات اليهودية من خلالها ضربات نقدية لظاهرة الشحاذة التي تتفشَّى في المجتمع اليهودي، وهذا يشير إلى أن هناك تفاوتاً وفروقاً واسعة وصارخة بين اليهود الأغنياء والفقراء في مآكلهم ومشاربهم ومساكنهم وسائر شؤون حياتهم، لذلك كثرت طبقة الشحاذين، وسَعوا إلى ابتزاز الأغنياء.. من ناحية أخرى، فإن ظاهرة الشحاذة الواسعة الانتشار بهذه الصورة في المجتمع اليهودي، تَدْحض مقولة الشعب اليهودي الواحد؛ فالأيديولوجية الصهيونية تروِّج مقولة تردِّد أن اليهود يتعاونون في مساعدة بعضهم البعض، وأنهم يمثلون شعباً واحداً متعاوناً أينما وجدوا وفي جميع الأحوال والظروف.

● تعبِّر بعض النكات اليهودية عن الصراع الذي يعتمل داخل الشخصية اليهودية، كما تعبِّر عن الكبت الاجتماعي الذي تفرضه التقاليد والعادات الجامدة اليهودية؛ حيث تعاني من صراع شديد بين هالة القيم النظرية الدينية الجامدة، وبين الواقع الفعلي وضغوطه وإغراءاته.

الخاتمة

الحياة مدرسة، أستاذها الزمن، ودروسها التجارب.. وتجاربنا مع اليهود مريرة، فكم قاسَى العرب بل العالم أجمع من سلوْكهم الشائن وتصرفاتهم السيئة.

والآن، وبعد أن أوشكنا على نهاية دراستنا لأبعاد الطابع العام للشخصية اليهودية وسماتها الشائعة، نستطيع أن نقول: إن هذه الطباع معبِّرة تماماً عن اليهود في كل زمان ومكان، حتى يمكن أن تصبح مقولة أساسية، ومستوى تعميمياً مقبولاً، لأنه يتفق مع المستوى التحليلي الذي قمت بدراسته بكل حياديَّة، فهو يجسد أخلاق اليهود وسلوكهم وواقعهم الإنساني الذي يحتوي على بيِّنات متداخلة من الصفات السلبية للمنظومة القيمية على جميع المستويات الحياتية النفسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية.

ولكن.. لا نريد أن نضع نقطة النهاية في هذه الجولة حول ملامح الشخصية اليهودية وطبائعها دون أن نشير إلى بعض الاعتبارات الهامة، حتى لا يدفعنا إحساسنا القومي المتضخِّم لوصف سلبيات الشخصية اليهودية بشكل فيه مبالغة أو تجنٍّ، وحتى لا نكون قد تجاوزنا الموضوعية في أحكامنا، مما يجعلها لا ترقى إلى مستوى الحكم العلمي الدقيق، وهذه الاعتبارات يمكن تلخيصها فيما يلي:

● إن هناك طبائع يهودية لم نستطع أن نضع أيدينا عليها من خلال الفكاهة اليهودية التي وردت في الموسوعة التي تم اتخاذها حدوداً للدراسة، وهي لا تخفى عن فطنة القارئ.. ولكن ما أوردناه فيه كفاية دالَّة على سوء طباعهم بصفة عامة، مما يستوجب أن نتعامل معهم بكل حَيْطة وحذر.

● إنه لا يمكن أن نطلق الحكم، ونبني منظومتنا التفسيرية على جميع اليهود؛ لأن المنطق يقرُّ بإنسانية اليهودي رغم أي شيء، فهو ينتمي إلى الجنس البشري، والبشر نوعان: صالح وطالح، طيِّب وشرير، جيِّد وسيئ، حسن وخبيث، مؤمن وكافر... إلخ. ولكن يمكن القول أن السِّمات التي أحصيناها في هذه الدراسة إنما تمثل طبائع وأخلاق سلوك السواد الأعظم من اليهود، لأن اصطياد أي صفة ظاهرية مضحكة إنما تحمل في طياتها شيئاً مميزاً، ومن ثم تحمل ظلاً من الحقيقة، فالفكاهة كفن أدبي وعنصر هام من عناصر الثقافة يمكن أن يستدل منه على سمات الشخصية، لأنها تعكس الصورة النمطية لطابع شعب ما وسلوك أفراده.

● إن الطابع القومي للشخصية يرتبط بخصائص سلوكية، ومن ثَمَّ يصعب وصفه بأنه حقيقة مجردة.. ولكن هذه الخصائص السلوكية يعبِّر عنها المواطن الذي ينتمي إلى ذلك المجتمع، وهو بذلك يعتبر مفهوماً ميكروزمياً؛ أي جزئياً، وليس مفهوماً كلياً؛ بمعنى أنه يدور حول المواطن العادي، ذلك المواطن الذي لا وجود له في ذاته، ولكن له وجود في كل مواطن بدرجة أو بأخرى.

● إن العلم يقول أن هناك ما يسمَّى بالفروق الفردية بين الأشخاص، وبناء على ذلك يمكن القول أنه ليس بالضرورة أن كل ما ينتمي إلى الجنس اليهودي يتَّسم بنفس السِّمات الشخصية التي ذكرناها بنفس الدرجة، ولكنها تختلف من شخص إلى آخر.

● هناك حقيقة يجب أن نشير إليها، وهي أن الفكاهة قد يكون فيها تصوير للواقع، ولكن مع تضخيم صورة ما هو قبيح إلى حد التشويه، وهي أيضاً صورة من صور الإسراف في المبالغة تصل إلى حد اللامعقول.

وختاماً: نأمل في الأجيال الجديدة من اليهود أن تعمل على تلميع الوجه القبيح الذي يراه العالم في شخصية اليهودي، وتغيير طبائعها السيئة وتحسين صورتها القميئة أمامهم، وكلُّنا أمل أن يستقيم الظل الأعوج، وأن يقترب اليهود من الأخلاق الإنسانية الطبيعية.

تم الكتاب بحمد الله وفضله

المؤلفة في سطور

الدكتورة سناء عبد اللطيف حسين صبري عضو هيئة تدريس كلية الآداب جامعة حلوان، وهي متخصِّصة في الدراسات العبرية الحديثة والمعاصرة.

صدر لها المؤلفات التالية:

- هكذا يربِّي اليهود أطفالهم، (دار القلم بدمشق، دار يمان بالأردن)، سنة ١٩٩٧.
- ثقافة السلام لدى الأطفال الإسرائيليين، دراسة تحليلية لديوان «سلامي وأمني»، (دار مدبولي للنشر بالقاهرة)، سنة ١٩٩٧.
- الجيتو اليهودي، دراسة للأصول الفكرية والثقافية والنفسية للمجتمع الإسرائيلي، (دار القلم بدمشق، الدار الشامية ببيروت)، سنة ١٩٩٩.
- ماذا يكتب اليهود لأطفالهم؟ (دار الكنوز الأدبية بلبنان)، سنة ١٩٩٩.
- ملامح الشخصية اليهودية وطبائعها كما تصوِّرها فكاهاتهم، (دار القلم بدمشق، الدار الشامية بيروت)، سنة ١٩٩٩.

كما كتبت المؤلفة العديد من المقالات منها:

- العلاقة بين اليهود والعرب في أدب الأطفال العبري (مجلة إبداع، العدد الثالث، مارس ١٩٩٥).
- طبائع اليهود، دراسة في الكوميديا اليهودية، (تأملات، مجلة الجمعية العلمية للدراسات العبرية، العدد الثالث، سنة ١٩٩٨، دار الزهراء للنشر).
- الأصول الفكرية لتربية الطفل اليهودي في إسرائيل، (كتاب التأصيل، العدد الثالث، الأهرام).
- أهمية ترجمة أدب الأطفال عن العبرية، (كتاب بحوث ندوة «الترجمة وثقافة الطفل» بالمجلس الأعلى للثقافة يومي ١٣، ١٤ ديسمبر ١٩٩٧).

وكانت المؤلفة قد قامت أيضاً بإعداد العديد من البحوث والدراسات الهامة عن إسرائيل ـ صدرت عن وزارة الإعلام ـ عندما كانت المؤلفة تعمل مترجمة ومحررة بإدارة فلسطين، ثم مستشاراً إعلامياً بالهيئة العامة للاستعلامات (من سنة ١٩٧٥ ـ ١٩٩٥).

نذكر من هذه البحوث دراسات عن:

- ملف قضية الشرق الأوسط.
- سياسة الاستيطان الإسرائيلي في الأراض المحتلة.
- المستوطنات الإسرائيلية في فلسطين.
- المستوطنات الإسرائيلية في الجولان.
- فضائح المجتمع الإسرائيلي.
- انتشار تعاطي المخدرات في المجتمع الإسرائيلي.
- التفرقة العنصرية في إسرائيل.
- اليهود في العالم العربي.
- العرب في إسرائيل.
- اليهود السوفييت.
- الهجرة والنزوح في إسرائيل.
- الهجرة اليهودية لإسرائيل.
- أسباب النزوح من إسرائيل.
- اتجاهات الإعلام الإسرائيلي قبل وبعد مبادرة السلام.
- العديد من التقارير الإعلامية، والنشرات التحليلية.

كما ساهمت المؤلفة في مشروع ترجمة الكتب العبرية الذي يقوم به مركز بحوث ودراسات الشرق الأوسط بجامعة عين شمس.

المحتوى

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٧
تمهيد	١١
تفسير مصطلحات هذه الدراسة	١٥
الفصل الأول: الفكاهة ودراسة الطابع القومي للشخصية	١٩
الفصل الثاني: اليهود يضحكون على الناس وعلى أنفسهم	٢٥
الفصل الثالث: سمات الشخصية القومية اليهودية من خلال فكاهاتهم	٣٣
١ ـ البخل الشديد وعبادة المال	٣٥
٢ ـ الجشع والطمع والغش والتزييف	٤٣
٣ ـ التطفل والشحاذة	٥٠
٤ ـ تعظيم قانون التعويضات	٥٧
٥ ـ السرقة واللصوصية	٦٠
٦ ـ الحسد والحقد	٦٤
٧ ـ الرشوة	٦٦
٨ ـ الكذب والنفاق والرياء والمبالغة	٦٨
٩ ـ الخيانة والخداع والمكر والدهاء	٨١
١٠ ـ الجدل والمراوغة	٨٨
١١ ـ التآمر والاغتيال والقتل	٩٥
١٢ ـ الشعور بالاضطهاد	٩٨
١٣ ـ الغرور والاستعلاء	١٠٥
١٤ ـ ضعف الوازع الديني والتحايل على الشريعة	١١٢
١٥ ـ احتقار يهود الجيتو	١١٨
الفصل الرابع: طبائع اليهودي بين الماضي والحاضر	١٢١
الفصل الخامس: سمات الفكاهة اليهودية	١٢٧
نتائج الدراسة	١٢٩
الخاتمة	١٣٢
المؤلفة في سطور	١٣٤
المحتوى	١٣٦